



رواية  
**أحفاد الجمهورية**  
في مواجهة الإرهاب السلافي

1

تأليف /  
محمود الزبيري

مقدمة:

## حين يصبح القلم مشروطاً

في زمن تُصادر فيه الأحلام، وتُغتصب فيه العقول قبل الأجساد، وتتحول فيه مدينة "صنعاء القديمة" من عاصمة للتاريخ والحضارة إلى ساحة لصراع وجودي، تأتي رواية "أحفاد الجمهورية في مواجهة الكهنوت" لتكون أكثر من مجرد نص أدبي؛ إنها وثيقة أدبية، وصوت للضمير المكبوم، ومشروط يشرح جسد الاستبداد.

تفتتح الرواية مشهدها من "قبو تحت الأرض"، حيث يلتقي نخبة من الأحرار: الدكتور عبدالعالم العنسي، المحامية نادية، الرائد سلطان، الشاب وليد، والشيخ أبو بلال. يجتمعون في الخفاء ليديروا معركة ليست كأبي معركة؛ إنها "الحرب التقنية ضد الأعداء"، و"حرب العقول والاستراتيجية". "لم يعد السلاح فيها بندقية فقط، بل أصبح "سلاح الاتصالات والتجسس"، و"نظام المشرفين"، و"الفريق السلالي" الذي ينهش في جسد الدولة.

تتبع الرواية، بأسلوب سينمائي مشوّق، كيف يُبنى "المكتب الأمني الجهادي"، و"جهاز دمج الرعب"، وكيف يُحول "جهاز الأمن والمخابرات" إلى مقصلة رقمية. لكنها لا تتوقف عند حدود الفضح؛ بل تغوص

في الوجد الإنساني: طفل في الثامنة يُحوّل إلى قنبلة موقوتة في "الدورات الصيفية الإجبارية"، وامرأة تُداهمها "الزينيبيات" في بيتها، ومعلم يُشطّب اسمه من كشوف الرواتب لأنه طالب بحقه. إنها حكاية "الخط الأحمر" الذي يكتبه الدكتور عبدالعالم، ليصبح "رصاصاته الأخيرة"، وأمانة تُحمل في "فلاش ميموري" صغير، ليصل إلى "حصن خولان"، حيث يولد "البث الرقمي" الذي يزلزل عروش الكهنة.

هذه الرواية ليست عن الحرب فقط، بل عن "العمل الدؤوب لانتزاع الحرية"، وعن الإيمان بأن "الكلمة الحرة" أقوى من الرصاص، وأن "الأمل" يمكن أن يشرق من رحم المعاناة، حتى لو كان الثمن هو الزنانة، أو النفي، أو الشهادة.

## الفصل الأول: قبو تحت الأرض

### فجر في صنعاء القديمة

#### صنعاء القديمة — ليل — الساعة الثانية صباحًا

كان ضباب صنعاء في ذلك الفجر البارد يزحف بين أحجارها الحبشية السوداء كشبح أتعبه السنون. الأزقة الضيقة التي ظلت ألف عام تسمع وقع أحذية التجار والعلماء، صارت تسمع اليوم وقع أقدام ثقيلة لا تشبه شيئًا مما عرفت. أقدام مشرفين يغتالون الصمت بنعالهم العسكرية، وضحكاتهم المبحوحة تتصاعد من هناك، من حيث ينتهي الزقاق إلى فراغ لا يراه إلا الخائفون.

قطرة ماء تساقطت من شرفة خشبية عتيقة بالية، واستقرت في بركة راكدة عند حافة الطريق. انعكس فيها ضوء فانوس شارع بعيد، واهتزت لحظة، ثم عادت ساكنة كأن شيئًا لم يكن.

الكاميرا — إن صح التعبير — لم تكن عيّنًا آلية جامدة، بل كانت كعين حزينة تتبع خيطًا من الذاكرة لا ينقطع. كانت تتحرك على مستوى الأرض، كما لو كانت تسمع ما تسمعه الجدران الصامتة: خوفًا مكتومًا لا يصرخ، وألمًا لا يبكي، وصبرًا يوشك أن ينفد.

ثم ارتفعت البصيرة — أو البصر — ببطء نحو واجهة منزل قديم في قلب صنعاء القديمة. كان المنزل يشبه غيره من البيوت، له قمريات زجاجية ملونة ترسم عليها ظلال أجداد

رحلوا منذ قرون، لكن خلف الزجاج الملون كان هناك ضوء  
أصفر وحيد يتحرك، كمن يكتب في ليله الأخير.  
كان الضوء ينتمي إلى الدكتور عبدالعالم العنسي.  
لم يكن يعلم أنه تلك اللحظة كان يكتب سطوراً ستجعل منه  
شهيداً حياً، أو حياً شهيداً، حسب الزاوية التي تنظر منها إلى  
الأشياء.

## المشهد الثاني

داخل مكتب الدكتور عبدالعالم — منزله في صنعاء القديمة  
انعكس وهج الشاشة الزرقاء على وجهه الشاحب، فرسمت  
فوق تجاعيده ظلالاً من ضوء بارد يشبه ضوء القمر عندما  
يموت خلف السحاب.

كانت أصابعه تضرب على لوحة المفاتيح بعنف محكوم،  
كطبيب قلب يحاول إنعاش مريض يلفظ أنفاسه الأخيرة. كل  
ضغطة كانت تمريراً لذكرى، كل حرف كان نبضاً لمدينة تختنق  
ببطء.

وقف للحظة، رفع عينيه إلى سقف الغرفة الحجري، ثم  
أغلقهما. بدأ يتحدث — لا إلى أحد، بل إلى الفراغ، إلى صنعاء  
التي تعرفه منذ كان طفلاً يركض في تلك الأزقة حافي القدمين.  
صوته كان من النوع الذي يأسرك قبل أن تفهم معانيه، فيه  
تلك النبرة الصنعانية الوقورة التي لا ترفع ولا تخفض إلا بقدر.  
كان يشبه أصوات القراء القدامى في الجامع الكبير، لكنه كان  
هذه المرة يقرأ كتاب العمر.

تساءل في نفسه بصوت يرتفع قليلاً، كمن يخاطب جدراناً  
خرساء:

— صنعاء لا تنام هذه الأيام. صنعاء تخاف أن تغمض عينيها  
فتقوم وقد سُرقت مساجدها وتاريخها بالكامل.  
ثم أضاف — وكانت كلماته تتساقط كقطرات الزئبق، ثقيلة  
وسامة:

— أنا عبدالعالم العنسي.. والكلمات التي أخطأها الليلة هي  
رصاصاتي الأخيرة.  
تنهد، ثم عاد إلى الكتابة.

### المشهد الثالث

خارج القبو المهجور — حي حدة — الساعة ٢:١٥ صباحاً  
على بعد ميلين من هناك، حيث تنتهي أضواء صنعاء القديمة  
وتبدأ عمارات حدة الإسمنتية، كان هناك قبو منسي- تحت  
منزل هجره أصحابه منذ سنوات الحرب الأولى.  
لم يكن لأحد أن يعلم بوجوده، فقد كان سلمه الحلزوني  
الضيق يختفي خلف باب حديدي صدى يشبه أبواب المقابر.  
لكن من يعرف صنعاء جيداً، يعرف أن تحت كل حجر فيها  
قصة، وتحت كل قبو مؤامرة، أو خلاص، بحسب النية.  
داخل القبو، كانت طاولة خشبية مهترئة تتوسط المكان.  
كشاف كهربائي واحد يتدلى من السقف، يسلط ضوءه الأبيض  
القاسي على الوجوه الخمسة الجالسة حول الطاولة، تاركاً بقية  
الزوايا في عتمة شبه تامة.  
الرطوبة تصعد من الأرض الإسمنتية، وتختلط برائحة العرق  
والخوف وبخور قديم ربما كان لصاحبه الأول.  
جلسوا كمن يعرفون أن هذا القبو قد يكون قبرهم الجماعي،  
لكنهم جلسوا رغمًا عن الخوف، لأنه في تلك الأيام صار القبر  
الوحيد الذي لا تسمعه الأجهزة هو قبر لم يُحفر بعد.

## المشهد الرابع

### داخل القبو — الطاولة المستديرة

أربعة منهم كانوا قد وصلوا قبل عبدالعالم بعشر- دقائق، جلسوا في صمت مطبق، كل واحد منهم يسمع دقات قلبه وكأنها ساعة توقيت.

أما الخامس، الشيخ أبو بلال، فكان الجسد الأكبر بينهم. كان رجلاً في أواخر الخمسين، عريض المنكبين، كث اللحية، تظهر على قسّمات وجهه تلك الصلابة القبلية التي لا تلين إلا عند الموت. كان شاله الأحمر ملفوفاً على كتفه اليسرى كعلامة فارقة، وخنجره التقليدي معلق بحزامه — لم يكن سلاحاً فقط، بل كان امتداداً لهويته التي يرفض أن يخلعها حتى في الخفاء.

قال الشيخ بصوت منخفض، لكنه كان يملأ القبو كله:  
— الحمد لله الذي جمعنا على حق.

لم يرد عليه أحد. لكنهم كانوا يعرفون أن وجود الشيخ بينهم هو درع وحصانة، فنساؤه ورجاله في الجبال خلفه، وآلاف البنادق هناك تنتظر إشارته.

في مقابل الشيخ، كانت المحامية نادية جالسة، تتلمس حقيبتها الجلدية السوداء كمن يتلمس شيئاً أثمن من روحها. كانت امرأة في بداية الأربعين، وجهها يشي. بأنها كانت جميلة قبل أن تطحنها السنوات الحرب. لكن عينيها، رغم التجاعيد حولهما، ظلتا تحتفظان ببريق لم يخمد بعد، بريق من رأى الكثير من الظلم وقرر ألا يسكت.

كانت ترتجف قليلاً، ليس من البرد، فالرطوبة في القبو لا تخترق العظام وحدها، بل تخترق الجسد كله. لكن ارتجافها كان من شيء آخر: الملف الأحمر الذي بين يديها، والذي لو

وقع في أيدي الأمن والمخابرات، لن يرى أطفالها الشمس مرة أخرى.

إلى جانبها، جلس الرائد سلطان المطري. كان وجهه ندبة قديمة تمتد من الجبهة اليمنى إلى أسفل الخد الأيسر، ندبة تروي قصة أقدم من تلك الحرب: قصة مقاوم قديم، دفع ثمن كلماته بلحمه قبل أن يدفعها اليوم بدمه. كان لا يزال يرتدي معطفاً عسكرياً ممزق الرتب، كتحدٍ صامت لكل من قالوا إن الجيش اليمني مات.

أما الرابع، وليد، فكان الشاب بينهم. في الثامنة والعشرين، نحيل الجسم، كثيف الشعر، وعيناه تحترقان بنار الشباب الذي لم يكتو بنار التجارب بعد، لكنه رأى ما يكفي ليكره كل شيء. كان يمسك بقلمه كمن يمسك خنجرًا، ودفتره الصغير لا يفارق كفه أبدًا، يسجل كل كلمة، كل نبضة، كل قطرة عرق. قال وليد بنبرة خفيفة، متجهًا إلى نادبة:

— أنت بخير؟ وجهك شاحب أكثر من المعتاد. همست نادبة:

— الخوف يا وليد. الخوف من أن نكون قد وضعنا أقدامنا في قبر لم نعلم به. ابتسم الشيخ أبو بلال ابتسامة عريضة، كمن يسمع نكتة قديمة:

— القبر يا بنتي لمن يخاف. أما من آمن بحقه وبوطنه، فالأرض كلها مسجده وقبره الجنة. توقفوا عن الكلام فجأة، سمعوا وقع أقدام خفيفة على السلم الحلزوني. دخل عبدالعالم العنسي.

نظر إليهم واحدًا واحدًا، ثم جلس على الكرسي الوحيد الخالي  
حول الطاولة.

قال عبدالعالم:

—اعتذروا مني، كان الطريق مراقبًا أكثر مما توقعت.

أجابه الرائد سلطان بنبرة عسكرية:

— كل الطرق مراقبة يا دكتور. السؤال: هل ما لدينا يستحق  
هذه المراقبة؟

نظر عبدالعالم إلى نادية، ثم إلى الحقيبة السوداء.

أجاب:

— نعم يستحق. بل يستحق أن نموت من أجله.

## المشهد الخامس

### الملف الأحمر

كانت يد نادية ترتجف بوضوح الآن. مدتها نحو الحقيبة، فتحتها بصعوبة، وكأنها تفتح تابوتًا. ثم أخرجت ملفًا كرتونيًا أحمر كلون الدم الجاف، ووضعتة في منتصف الطاولة. فتحتة.

تحت الضوء الأبيض القاسي، ظهرت وثائق مطبوعة بعناية، بعضها يحمل شعارات أمنية، وبعضها يحمل توقيعات لا يعرفها إلا القليل.

نادية تنهدت بعمق، ثم بدأت تتحدث، لكن صوتها كان كمن يهمس في جنازة:

— هذا ليس جهازًا عاديًا. هذا هو 'المكتب الأمني الجهادي'.  
الغرفة المغلقة التي لا تخضع لأي قانون، ولا لأي وزارة.  
أشارت بأصبعها المرتجف إلى هيكل تنظيمي مرسوم على إحدى الوثائق:

— سبع طبقات من القمع تحت الأرض. قنوات اتصالهم تذهب مباشرة إلى 'مران' في صعدة، إلى عبدالملك الحوثي نفسه. لا وزير داخلية، لا رئيس وزراء، لا رئيس جمهورية — حتى لو كان هناك واحد — يملك أن يسأل عنهم.  
ساد صمت ثقيل.

كان الرائد سلطان ينظر إلى الملف كمن يرى شبحًا من ماضيه. انحنى قليلاً، ولمس إحدى الوثائق بأطراف أصابعه كأنها جمرة.

قال بصوت منخفض، لكنه كان كالرصاصة التي تخرج من كاتم صوت:

—عبدالكريم الحوئي.. وزير داخليتهم وعم المشرف الكبير،  
هو الختم الميت الذي يوقع على هذه الأوراق.  
رفع رأسه ونظر في عيون الجميع:  
—رأيتَه بأَم عيني يسلم مشرفين سلايين صلاحيات مطلقة،  
تبطل قرارات أي ضابط محترف في الجمهورية. حولوا الوزارة  
العريقة إلى دكان لعرقهم ومذهبهم.  
التفت إلى عبدالعالم:  
—ولكن.. هل تعرفون من هو العقل التقني الخبيث خلف  
هذا الملف؟  
قاطعه وليد بحماسة:  
—من؟ تقصد علي حسين الحوئي؟ ذلك الشاب الصغير  
الذي عينوه مديراً لـ 'استخبارات الشرطة'؟  
أوما الرائد برأسه ببطء:  
—نعم. هذا الفرخ السلاي. إنه يدير جهازاً مرعباً لا يلاحق  
المجرمين، بل يزرع الجواسيس في غرف نوم الضباط والجنود.  
يراقب الجلادين قبل الضحايا لضمان التبعية المطلقة.  
ثم أضاف بصوت شبه هامس:  
—لا يثقون بأحد خارج سلالتهم. والجميع لديهم متهم  
بالخيانة، حتى يثبت العكس بالتضحية بدمه في الجبهات.  
ابتلع ريقه ثم قال:  
—هذا ليس أمثاً. هذا نظام إرهاب.

## المشهد السادس

### خطر ليس بالرصاص

رفع عبدالعالم رأسه. كانت عيناه تحملان نظرة من يرى ما لا يراه الآخرون، من يفهم ما لا يفهمونه، من يعرف أن الخطر الحقيقي ليس في الرصاص الذي أمامهم، بل في الرصاص الذي سيأتي من حيث لا يتوقعون.

تحدث عبدالعالم بصوته الرخيم، الهادئ الذي يحمل في أعماقه هزيم الرعد:

— يا رفاق. يا رائد سلطان، ويا وليد. هذا الفرخ السلالي، علي حسين الحوئي، وجهاز 'استخبارات الشرطة'، ليسوا إلا قشرة السطح. الخوف الحقيقي ليس منهم.

توقف لحظة، كمن يجمع شتات فكرة عظيمة، ثم قال:

— الخوف من جهاز دمج الرعب. جهاز 'الأمن والمخابرات'. كانت كلماته تقطر ثقلاً كالرصاص المنصهر.

— هل تعرفون ماذا يعني أن يدمج عبدالحكيم الخيواني الأمن القومي والأمن السياسي في بوتقة واحدة؟ نظر في وجوههم واحداً واحداً، كأستاذ يسأل تلاميذه سؤالاً مصيرياً.

ثم أجاب نفسه:

— يعني أنه ألغى الدولة، وصنع مقصلة واحدة عملاقة تحصي. على اليميني أنفاسه، ونبضات قلبه، وحتى النوايا التي لم ينطق بها بعد.

لم ينبس أحد بكلمة. كان صمتهم اعترافاً بالخوف.

## المشهد السابع

### صرخة من قبو حدة

لكن الخوف لم يكن له وقت في تلك الجلسة.  
كانت نادية تتابع الملف وكأنها تستعيد حكايات لم تكن  
حكايات، بل جروحًا لم تندمل.  
قالت فجأة، وصوتها يرتعش من الداخل كما يرتعش الوتر  
المشدود:

—أتدرون من هو الضحية في كل هذا؟ الضحية هي تلك  
البيوت التي تُهتك أستارها كل ليلة.

انهمرت الدموع من عينيها وهي تتحدث:

—الأسبوع الماضي، طرقتُ باب جارتِي في حي الروضة نسوة  
ملثّمتات.. 'الزِينبيات'. دخلن ببنادقهن، فتشنّ الغرف، بعثرن  
ملابس النساء الداخلية، وسحبن زوجها من فراشه وهو عارٍ إلا  
من ثوب نومه أمام أطفاله!

أجهشت بالبكاء للحظة، ثم تماكنت نفسها:

—صرختُ جارتِي، لكن صراخها مات في زقاق الحارة.. لأن  
المهاجم امرأة! لقد سرقوا منا حتى حقنا في الغيرة والكرامة!  
انتفض وليد واقفًا، وصوته يرتجف بالثورة:

—هذا هو التخطيط الإيراني الخبيث يا نادية! مستورد  
بالحرف من باسيج طهران وزينبيات ضاحية بيروت!

مشى خطوتين ذهابًا وإيابًا في ركن القبو المظلم، ثم عاد:

—يكسرون العرف اليميني القبلي الذي كان يجعل من بيوت  
النساء خطأ أحمر لا يجرؤ أعتى المجرمين على تخطيه.

توقف قليلًا، ثم قال بنبرة ازدراء:

—الآن، باسم 'المسيرة القرآنية'، أصبح هتك الأعراض  
جهادًا، وإذلال العزيز عبادة!

وقفت نادية فجأة، وقالت بصوت تكسرتة العبرات:  
—لقد جربت كل هذا بنفسى- يا وليد. فى الشهر الماضى،  
طرقت باب بيتى زينبيتان. كنت وحدى مع أطفالى. صرخوا فى  
وجهى بالصيحات. لكننى لم أفتح الباب.  
ابتلعت ريقها:

—بقيت أصرخ فى وجهيهن حتى سئمن وذهبن. لكننى بعدها  
بثلاثة أيام وجدت رسالة تحت بابى: "مرة قادمة سنأتى بقوة  
أكبر."

صمتت ثم همست:  
—وهجرت البيت فى اليوم التالى.  
ساد صمت ثقيل، كثافة الجبال التى سقطت من أعينهم.

## المشهد الثامن

### الشيخ أبو بلال يثور

وقف الشيخ أبو بلال فجأة.

لم يكن وقوفه عادياً. كان كبركان هداً قروناً ثم تذكر أنه بركان. مشى- بخطوات ثقيلة تسمع الأرض وقعها، ووقف في زاوية القبو المواجهة للجميع. ضرب بقبضته على الجدار الإسمنتي حتى تطاير منه غبار عتيق.

صوته كان كالزئير، لكنه زئير مكتوم:

— عيب والله. عيب أسود في وجه كل قبيلي يرى نساءه ترّوع وأحراره تُساق إلى دهايز الخيواني وهو ساكت. التفت نحو عبدالعالم، وعينه تشتعلان:

— يا دكتور عبدالعالم، نحن في القبائل عندنا رجال، وعندنا بنادق تشتري الموت وتبيع الروح. قُل لي.. ما هو دورنا؟ هل نطلق النكف القبلي؟ هل نحشد الرجال إلى الثغور؟ توقف ليلتقط أنفاسه، ثم قال بنبرة تتساقط كاللهب:

— نحن سئمنا دور المتفرجين بينما هؤلاء الكهنة يهدمون ما بناه آباؤنا في سبتمبر وأكتوبر!

كان يقصد ثورتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣، أيام كان اليمينيون يصنعون التاريخ، لا يكتبونه باكياً.

وقف عبدالعالم، وذهب إليه، ووضع يده على كتف الشيخ. قال بنبرة حاسمة:

— بندقتك يا شيخ أبو بلال هي ذخرننا، ولكن الحرب هذه المرة ليست حرب متارس فقط. شخص ببصره في عيون الشيخ:

—إنها حرب 'عقول واستراتيجية'. الحوثة لم يحكم صنعاء بقوة السلاح وحده، بل حكمها بـ 'سلاح الاتصالات والتجسس' وبـ 'نظام المشرفين'.  
ابتسم ابتسامة مريّة:

—هل تعلم أن كل كلمة نقولها الآن قد تكون مسموعة؟  
نظر نحو السقف كأنه يرى أجهزة تنصت خفية:  
—قطاع الاتصالات في صنعاء هو أكبر مورد مالي يغذي جبهاتهم، وهو العين التي تخترق بياناتنا وتتبع حركاتنا.  
ثم أضاف بنبرة منكسرة، كمن يعترف بعار وطني:  
—والمصيبة الكبرى.. أن 'الحكومة الشرعية' القابعة في فنادق الخارج وعواصم الغياب، عاجزة منذ سنوات عن إيجاد بديل تقني واحد!  
زفر بعمق:

—عاجزة عن توفير شبكة مشفرة تحمي قادتها ومواطنيها من هذا الاختراق الرقمي المرعب!

---

كان ضوء الكشف لا يزال يتأرجح فوق رؤوسهم، وكان طنينه المستمر كأنه نبض القبول نفسه، أو نبض صنعاء التي لا تنام، والتي كانت في تلك الساعة المبكرة من الفجر تستعد لاستقبال يوم جديد من المعاناة.

لكنهم لم يكونوا يعلمون — لم يكونوا يعلمون أن العيون التي تراقبهم ليست عيوناً بشرية فقط، بل عيوناً حديدية تلتقط كل حرف، كل نظرة، كل خفقة قلب.  
وأن الطرقات على الأبواب ستبدأ قبل أن ينتهي اجتماعهم.  
وهذا ما سراه في الفصل التالي.

---

## الفصل الثاني: الفأر والاختراق

### المشهد التاسع

القبو — الساعة ٢:٤٠ صباحًا

كانت الساعة تشير إلى الثانية وأربعين دقيقة صباحًا، وكان الكشف لا يزال يطن فوق رؤوسهم، كأنه يعد لهم دقائقهم الأخيرة دون أن يشعروا.

بعد كلمة عبدالعالم عن عجز الحكومة الشرعية، ساد صمت قصير، قطعه الرائد سلطان بصوته الأجش:

—الدكتور صادق يا شيخ. نظام المشرفين هو العمود الفقري لظلمهم.

أخذ نفسًا عميقًا، كمن يستعد لاستعادة ذاكرة مؤلمة:

—المشرف الأمني أو الثقافي في المربع، ولد سلاحي جاهل لم يقرأ في حياته كتابًا، يملك سلطة مطلقة تتجاوز صلاحيات الوزراء والمحافظين والقضاة!

كانت كلماته تسقط كالصخور، ثقيلة وحادة:

—عندما كنت ضابطًا في الأمن، دخل عليّ مشرف عمره تسعة عشر عامًا، وبصق على قراري القانوني بإخلاء سبيل مسجون بريء، وقال لي: 'هذا منافق والمسيرة أولى بدمه'. وضع يده على ندبته القديمة وكأنها تؤلمه فجأة:

—في تلك اللحظة عرفت أننا لا نواجه سلطة سياسية، بل نواجه حركة كهنوتية تفرض 'التوحش الأمني' لإعادة اليمن إلى عهد السادة والعبيد!

اقتربت نادية من الطاولة، وعيناها تشعان بإصرار:

—إذن ما العمل يا دكتور؟ إذا كان القلم ملاحقًا، والبندقية مكشوفة، والاتصالات مخترقة.. كيف نقاوم؟ ابتلعت ريقها:

— هل نستسلم وننتظر أن يطرقوا أبوابنا ويأخذونا واحدًا تلو الآخر؟

نظر عبدالعالم في عينيها، ثم في عيون الجميع.  
كانت نظراته تحمل الأمل الوحيد المتبقي:

— لا يا نادية. اليمينيون لم يستسلموا للأئمة طوال ألف عام، ولن يستسلموا اليوم.

تقدم نحو الطاولة ووضع يده على الملف الأحمر:

— مقاومتي ومقاومتكم تبدأ من هنا. من هذا الملف.  
أشار نحو الوثائق:

— سأكتب كل ما جمعتوه. سأكشف هيكل الظل الحوثي.  
سأشرح كيف يدار 'المكتب الأمني الجهادي' ارتباطًا بمكتب  
عبدالملك.

توقف لحظة، ثم قال بصوت أكثر حرارة:

— سأفصح نظام المشرفين وتفخيخهم لعقول الموظفين  
والنشاء في تلك 'الدورات الثقافية الإجبارية' التي يحولون فيها  
أطفالنا إلى قنابل موقوتة.

رفع صوته قليلًا، كمن يعلن حربًا لا هوادة فيها:

— هذا العمل الدؤوب لتعريتهم هو 'الخط الأحمر' الذي  
سنخوض به معركتنا للحرية!

كانت كلماته لا تزال تتردد في أرجاء القبو عندما اهتز الهاتف  
فجأة.

## المشهد العاشر

### صوت من المجهول

كان الهاتف على الطاولة.

كان يرن بصوت اهتزاز عنيف، كمن يريد أن يكسر صمته. الشاشة كانت تضيء برقم مجهول، كأنه جاء من لا مكان.

الجميع تجمد.

كان وليد ينظر إلى الهاتف كالثعبان الذي ظهر فجأة في الغرفة. الرائد سلطان سحب مسدسه بسرعة البرق ووجهه نحو الباب، كأنه يتوقع اقتحامًا من أي لحظة.

تهمس وليد بصوت مذعور:

— من هذا؟ لا أحد يملك هذا الرقم إلا نحن الخمسة!

كانت عينا عبدالعالم ثابتتين، ثابتتين بغرابة.

مد يده ببطء نحو الهاتف، كمن يمد يده نحو قنبلة موقوتة. رفع السماعة ووضعها على وضع المكبر:

— ألو. من معي؟

ساد صمت للحظة. ثم جاء الصوت.

كان الصوت معدلاً إلكترونياً، بارداً، آلياً، كأنه يخرج من قبر إلى قبر.

كان الصوت يسخر:

— بروفيسور عبدالعالم.. مكانك في حدة دافئ، والملف الأحمر

الذي أمامك على الطاولة جميل جداً.

توقف لحظة، ثم أضاف بنبرة مميتة:

— ولكن نسيت أن تكتب فيه أن 'أبراج الاتصالات' تقرأ حتى

حبر قلمك قبل أن يجف على الورق.

وقفزة قلب واحدة ارتفعت فيها دقات الجميع.

الصوت أكمل:

—تفرّقوا.. الأطقم العسكرية تحركت من معسكر النجدة  
وهي في طريقها إليكم. الآن.  
قطع الاتصال.  
ساد صمت مطبق.  
ثم انفجرت الفوضى.

## المشهد الحادي عشر

### الفوضى والهروب

كان كل شيء يتحرك دفعة واحدة.

كان الرائد سلطان يصرخ بصوت خفيض لكنه حاد:

— خيانة! تتبعونا عبر الـGPS!

سحب نادية من ذراعها بقوة نحو المخرج الخلفي:

— يا دكتور عبدالعالم، اترك الحاسوب وتحرك فوراً! المخرج

الخلفي يؤدي إلى المزارع!

كان وليد يجمع الأوراق بسرعة، يدسها في جيبه وكيسه وحقيبته كمن يحاول إنقاذ روحه.

أما الشيخ أبو بلال، فكان يقف عند ممر القبو، ممسكاً بجنبتيته، وعيناه تراقب الباب الرئيسي. كالصقر الذي ينتظر الفريسة — أو العدو.

أما عبدالعالم، فأغلق حاسوبه بهدوء عجيب.

كان هدوءه يثير الدهشة في تلك الفوضى الصاخبة.

نظر إلى الجميع، وعيناه تحملان شيئاً لم يروه من قبل: كان ذلك الشيء هو التضحية.

قال بصوت واضح، رغم الزحام:

— اذهبوا أنتم. تفرّقوا في الأزقة. يا شيخ أبو بلال، خذ نادية

ووليد إلى خولان.

نظر نحو الرائد:

— سلطان، أمّن طريقهم.

ثم قال الجملة التي سيعرفون فيما بعد أنها كانت وصيته:

— أنا سأعود إلى بيتي في صنعاء القديمة.

صاح الرائد غاضباً:

— هذا جنون! سيعتقلونك!

أجاب عبدالعالم بابتسامة غامضة:  
—إذا اعتقلوني، فالكتاب قد رُفع. وإن عشت.. فالمعركة  
مستمرة.  
أشار بيده بحركة قطعية:  
—اذهبوا.. هذا أمر!  
ثم اختفى في ظلام ممر القبو، باتجاه الباب الرئيسي، بينما  
اتجه الآخرون عكسًا.

## المشهد الثاني عشر

### الممر الخلفي — مزارع حدة

خرجوا من القبو إلى ممر ضيق بين الجدران الإسمنتية. كان الهواء البارد يوسع وجوههم.

كانوا يجرون، يتعثرون، ينهضون مجددًا.

كانت نادية تتعثر بطرف عباؤها الطويلة كل خطوتين، وكان وليد يلتقطها بيده، بينما يحمل حقيبته باليد الأخرى.

وفجأة، انفجرت أصوات الرصاص من بعيد.

كانت تأتي من اتجاه القبو الذي تركوه لتوهم. كان الإطلاق نازًا كثيفًا، كأن الأطقم عثرت على هدف — أو ظنت أنها عثرت.

كان الضوء الأزرق والأحمر للأطقم العسكرية ينعكس على جذوع أشجار القات البعيدة، وكانت الكلاب الضالة تنبح

بخوف وهلع.

كانت نادية تكي بصمت بينما تجري.

عند نقطة تفرق فيها الطرق، توقفوا للحظة خلف جدار طيني قديم لالتقاط الأنفاس.

كان الرائد يتلصص على الشارع الرئيسي. من شق في الجدار، وكان الشيخ يربط شاله حول رأسه بعزم، ممسكًا بمسدسه

العتيق.

همست نادية بصوت مكسور:

— يا الله. لو أخذوهم.. لو كشفوا الأسماء التي في الملف..

سيموتون جميعًا في زنازين الخيواني.

بكت بصمت:

— أولئك الموظفون البسطاء الذين وثقوا بي وسلموني

الكشوفات.. ذنبهم في رقبتى.

نظرت نحو الرائد وعيناها غارقتان في الدموع:

—القهر يقتلني يا سلطان. أشعر أننا مكشوفون تمامًا، كأننا نمشي- عراة في مدينة تملك عيونًا من حديد تلاحقنا في كل شاشة وهاتف.

التفت الرائد إليها، وصوته كان مزيجًا من الألم والصلابة:  
—اهبطي بنبرة صوتك يا نادية. هذا هو سلاح التجسس الرقمي الذي تحدث عنه الدكتور عبدالعالم.  
أشار بيده نحو السماء:

—قطاع الاتصالات في صنعاء ليس مجرد شركة تجني المليارات لتسليح جبهاتهم، إنه جهاز استخبارات متكامل يحدد موقع المستهدف بالسنتيمتر.  
تنهد بعمق:

—نحن ضحايا خذلان مزدوج؛ قمع منظومة الكهنوت هنا، وعجز تقني مخز من شرعية قبعت في الفنادق وتركت المواطن مخترقًا ومستباحًا.  
ثم عاد إلى صوته العسكري:

—لكننا لن نموت قبل أن نقاوم. يا شيخ أبو بلال.. خذ نادية ووليد عبر طريق بلاد الروس وصولاً إلى خولان.  
ربت على كتف الشيخ:

—أنا سأعود إلى صنعاء القديمة ليتشتت انتباه الأطقم خلفي، ولأحمي ظهر الدكتور عبدالعالم.  
لم ينتظر الرد. اختفى في الظلام.

### المشهد الثالث عشر

#### طريق التراب — أطراف صنعاء

كان الضباب يخف قليلاً، لكن الخوف كان يزداد.  
كان الشيخ أبو بلال يقود نادية ووليد عبر طريق ترابي فرعي،  
بعيداً عن أعين الأطقم. خطواتهم كانت سريعة، لكن قلوبهم  
كانت أسرع.

التفت وليد إلى الشيخ، صوته كان متحشراً بالخوف  
والغضب معاً:

— يا شيخ أبو بلال، كيف نترك الدكتور عبدالعالم يعود وحده  
إلى بيته؟ المهرب يعرفه بالاسم، والخيواني يبحث عن كتاباته  
كمن يبحث عن كنز مفقود!  
أكمل باندفاع:

— إنهم يخافون من الكلمة أكثر من بندقيتك. إذا سقط  
الدكتور عبدالعالم، مات مشروع 'الخط الأحمر' وماتت  
الحقيقة التي نذرنا أنفسنا لكشفها.

توقف الشيخ فجأة. وقف في وسط الطريق الترابي، ونظر إلى  
وليد بعينين تشعان بحكمة القبيلة المكومة.  
قال الشيخ بصوته الغليظ:

— اسمعني يا ولد. الدكتور عبدالعالم ليس غيباً، إنه يشتري لنا  
الوقت لكي نخرج نحن بالوثائق.  
رفع إصبعه كالواعظ:

— بندقتي تحمي الأجساد، لكن قلمه يحمي عقول أمة كاملة  
من التطييف والتجهيل الكهنوتي.  
ابتسم ابتسامة حزينة:

—لو مت أنا أو أنت.. فنحن أفراد، لكن لو ماتت الفكرة التي  
يكتبها عبدالعالم.. عاد الجهل يحكمنا لألف سنة قادمة باسم  
الحق الإلهي والخرافة السلالية.  
ثم عاد صوته إلى الحزم:  
—عملنا الدؤوب الآن هو أن نصل إلى خولان، ونبني هناك  
حصنا لا تصل إليه شاشات تتبعهم ولا أجهزة تهم الموازية.  
أشار بيده:  
—تحرك. اليمن ينتظر منا فعلاً لا عويلاً.  
عادوا إلى المشي، أسرع من قبل.

## المشهد الرابع عشر

صنعاء القديمة — منزل عبدالعالم — الساعة ٤:٠٠ صباحًا  
كانت صنعاء القديمة في ذلك الفجر كامرأة حزينة تنتظر خبرًا  
لا يأتي. الأزقة الحجرية شبه المظلمة كانت تئن تحت وطأة  
الصمت.

وصل الدكتور عبدالعالم إلى باب منزله الخشبي العتيق.  
كان الباب مطعمًا بمسامير حديدية ضخمة، كأنه حصن صغير  
في وسط المدينة. فتحه ببطء، دخل، ثم أغلقه بهدوء مريب.  
سحب المزلاج الحديدي الثقيل، وكأنه يغلق على نفسه تابوتًا  
اختاره بإرادته.

كانت ملامحه غارقة في التفكير، وكانت التضحية تلوح كالهالة  
فوق رأسه — أو ربما كانت الهالة التي تسبق الاستشهاد.  
سار في الحوش الداخلي، وصوت خطواته كان يرن على بلاط  
النورة الأبيض.

وفجأة، خرجت سارة من ممر الغرف الداخلية.  
كانت ترتدي جلبابًا أسود، وعيناها محمرتان من السهر  
والخوف.

همست بصوت مرتجف:

— عم عبدالعالم! الحمد لله على سلامتك.

اقتربت منه:

— عودتك في هذا الوقت أفزعني. هل كشفوا مكانكم؟

كانت كلماتها تتساقط بسرعة:

— رأيت أطقم الأمن والمخابرات تمر قبل قليل من الشارع

العام.. كانوا يفتشون المارة بصور لبعض الوجوه.

خلع عبدالعالم معطفه الصوفي ووضعه على الكرسي. نظر  
إليها بعينين حنونتين لكنهما مثقلتان بالهم:

—اجلسي يا سارة. خذي نفسًا.

تنهد:

—نعم، داهموا القبو، تتبعوا هواتفنا عبر شبكة الاتصالات  
المختربة.

نظر نحو النافذة كأنه يرى العالم الخارجي:

—المنظومة أصبحت متوحشة يا ابنتي، لم تعد تترك مساحة  
للخطأ.

ثم أكمل:

—سلطان ونادية ووليد في طريقهم إلى خولان مع الشيخ أبو  
بلال.

رفع بصره نحو السقف كمن يتأمل شيئًا بعيدًا:

—ولكني عدت لأن المعركة الحقيقية ليست في القبو.

ثم قال الجملة التي ستغير كل شيء:

—المعركة تبدأ من هنا، من تفكيك وعي هذا الاستبداد  
الكهنوتي الذي يطوق مدينتنا.

## المشهد الخامس عشر

### قصة عمر

جلست سارة على حافة السجادة. كانت يداها ترتجفان، وكانت عيناها تلمعان بالدموع التي لم تنزل بعد.  
قالت بصوت مكسور:

— يا عم عبدالعالم.. الظلم يمكن تحمله، الرصاص يمكن الهرب منه، ولكن كيف نهرب من خراب العقول؟  
بدأت الدموع تسقط:

— أخي عمر.. طفل ثماني سنوات.. كان يملأ البيت بضحكاته ولعبه بالطائرات الورقية.  
سكنت للحظة، كمن تتذكر جنة فقدتها:

— أخذوه إلى 'الدورة الصيفية الثقافية الإجبارية' التي فرضها مشرف الحارة على أطفال الموظفين كشرط لصرف نصف راتب أبي المقطوع منذ سنوات.  
بكت بصوت مبجوح:

— عاد عمر بعد شهر بجسد نحيل، وعيون غريبة.. عيون جاحدة لا تعرف الرحمة.  
رفعت رأسها، وكانت عيناها تائها:

— وجدته البارحة يخبئ سكينًا حادة تحت فراشه، وعندما صرخت في وجهه: ما هذا يا عمر؟ نظر إليّ ببرود وقال: 'المشرف علّمنا في الدورة أن الوطن ليس ترابًا. الوطن هو المسيرة، وأن جيراننا منافقون لأنهم لا يصرخون بالصرخة، وذبحهم جهاد يقربنا من الجنة.'  
صاحت سارة فجأة:

— يا عم عبدالعالم، أمي سجدت شكرًا لله لأن ابنها صار 'مجاهدًا'، وأنا انكسر قلبي.

غطت وجهها بيديها:  
—لقد سرقوا طفولة أخي، وحولوا براءته إلى قنبلة موقوتة!  
جلس عبدالعالم إلى جوارها، وضع يده على كتفها.  
كان صوته دافئاً، لكن خلف الدفء كان هناك بركان يوشك  
على الانفجار:  
—هذا هو الوجد الأكبر يا سارة. هذا هو 'تفخيخ العقول'  
الذي بنوا عليه استراتيجيتهم منذ اليوم الأول لسيطرتهم على  
مؤسسات الدولة.  
وقفت سارة وقالت:  
—عم عبدالعالم، كيف يمكننا أن نقاوم هذا؟  
قال عبدالعالم:  
—إنهم يعلمون أن السلاح قد يُهزم، ولذلك يعمدون إلى  
تجريف الهوية الوطنية اليمنية، واستبدالها بعقيدة مستوردة  
قائمة على المذهب والعرق والعنف كوسيلة وحيدة لبقائهم  
في السلطة.  
نظر في عينيها:  
—يريدون جيلاً من الجلادين والعبيد الذين لا يناقشون أمر  
المشرف.  
ثم أضاف:  
—معركتنا في كتاب 'الخط الأحمر' هي لأجل أخيك عمر،  
ولأجل آلاف الأطفال الذين تُغتصب عقولهم كل يوم في تلك  
الدورات المشبوهة.  
رفع قبضته:  
—لن نصمت. وصراخ الألم هذا سأحوله إلى نصوص تفضح  
زيفهم أمام العالم كله.

وقتها لم تكن تعلم سارة أنها ستكون الشاهدة الوحيدة على تلك الكلمات الأخيرة، وأنها هي التي ستحمل الوصية إلى العالم.  
لكن هذا ما سنعرفه قريبًا، عندما تطرق الأطقم الباب.

## الفصل الثالث: افتتاح الفجر

### المشهد السادس عشر

#### مكتب عبدالعالم — الساعة ٥:٠٠ صباحًا

عاد عبدالعالم إلى مكتبه. جلس أمام حاسوبه، وفتحه. كانت شاشة الحاسوب تعكس ضوءها الأزرق البارد على وجهه الذي لم يعرف النوم تلك الليلة. لكن عينيه، رغم الإرهاق، كانتا تشعان بتركيز لم يرهما عليه أحد من قبل. كان يكتب الفصل الثاني من كتاب لم يكتمل بعد. الفصل الذي سيكون عنوانه — كما سيعرف العالم فيما بعد — "عقيدة التوحش وتدمير النشء."

وكانت أصابعه تضرب المفاتيح بسرعة، وكأنها تريد أن تكتب قبل أن يموت القلم، أو قبل أن تموت هي. أخذ يقرأ ما كتب بصوت خفيض، كمن يتلو آيات من إنجيل جديد:

" — لا يكتفي 'المكتب الأمني الجهادي' بإدارة المسالخ البشرية تحت الأرض بقيادة عبدالكريم الحوثي وجهاز الخيواني، بل يمتد ذراعه عبر 'نظام المشرفين الثقافيين' ليتغلغل في المدارس والمساجد والبيوت."

توقف لحظة ليمسح دموعًا لم يعرف أنها نزلت:

" — إنهم يستغلون جوع الناس وفقرهم المفتعل لابتزازهم بأطفالهم. يفرغون عقول الصغار من حب الأرض والوالدين، ليملؤوها بحب 'السيد وعرقه المصطفى'.. إنها عملية غسيل دماغ جماعية ممنهجة، تهدف لإنتاج قطيع مسلح يقتل جاره وأخاه لتبقى السلالة مهيمنة على مقدرات اليمن."

كتب الكلمات الأخيرة ثم توقف.

كان هناك شيء ما.

كان هناك صوت.  
صوت طرقات على الباب.  
ولم تكن تلك الطرقات طرقات زائر عادي. كانت طرقات  
عنيفة، وحشية، كأن الباب يموت تحت وقعها.  
صاح صوت من الخارج بصياح رجال غلاظ:  
—افتح يا دكتور! افتح بأمر الأمن والمخابرات! لا تحاول  
الهرب.. البيت محاصر بالكامل!  
وقفت سارة في الزاوية، وضعت يدها على فمها لتكتم صرختها.  
كانت عيناها واسعتين كعيون ظبية حوصرت بين الصيادين.  
أما عبدالعالم، فتوقف عن الكتابة.  
نظر إلى الشاشة، ثم نظر نحو الباب.  
كانت نظرتة هادئة. هادئة جدًا.  
هادئة كمن يعرف أن هذه اللحظة قادمة لا محالة، وأنه استعداد  
لها طوال حياته.

## المشهد السابع عشر

### الوصية الأخيرة

لم يتحرك عبدالعالم ليفتح الباب.

بل تحرك نحو شيء آخر.

ضغط بسرعة على لوحة المفاتيح، على خيار "إرسال وتشفير

مجدول". ظهرت نافذة صغيرة تؤكد رفع الملفات بنجاح إلى

السيرفرات الخارجية المشفرة.

كانت الطرقات تزداد عنفًا.

كان الباب الخشبي العتيق يئن تحت وقع الركلات، والنوافذ

الزجاجية — القمريات — كانت تهتز وترتجف كأنها تبكي.

لكن عبدالعالم كان هادئًا.

أغلق الحاسوب ببطء، ثم سحب فلاش ميموري صغيرًا من

منفذ USB. كان الفلاش صغيرًا جدًّا، لا يكاد يُرى، لكنه كان

يحمل في داخله أكثر مما يحمل جبل من وثائق.

نظر إلى سارة.

كانت تقف خلفه، ترتجف كعصفور صغير في عاصفة.

أمسك بيدها، وضع الفلاش في جيب جلابها الداخلي.

كان صوته هامسًا، دافئًا، لكن حاسمًا كالسكين:

— سارة. اسمعيني جيدًا ولا تقاطعي الكلمات، فالوقت يمر

كالنصل.

أشار إلى جيبيها:

— هذا الفلاش فيه نسخة كاملة ومحدثة من وثائق 'المكتب

الأمني الجهادي' وهيكل الأجهزة الموازية.

رفع أصبعه كالموصي:

—إذا أخذوني.. لن يفتشوك، فهم يرون في النساء مجرد أرقام  
أو أدوات قمع عبر زينبياتهم، ولا يتوقعون من فتاة في سنكِ أن  
تحمل مصير منظومتهم السرية.  
حملت سارة في عينيه:  
—عم عبدالعالم..

قاطعها بحزم:  
—أريدكِ أن تكوني قوية. الألم الذي في قلبكِ على أخيكِ  
عمر، حوله إلى وقود للنجاة.  
أشار نحو السقف:

—أذهبي فورًا عبر السطح. أسطح صنعاء القديمة متصلة  
ببعضها. أذهبي إلى بيت الحاج قاسم، ومن هناك سيوصلكِ  
رجال الشيخ أبو بلال إلى خولان.  
تمسكت سارة بيده، تشبثت بمعطفه:  
—وكيف أتركك يا عم عبدالعالم؟ سيعذبونك. أعرف ماذا  
يفعل جهاز الأمن والمخابرات بالذين يرفضون طاعتهم.  
صاحت بصوت مبحوح:

—المهرب قال لك سابقًا إنهم سيكسرون أصابعك! لن  
أتحرك وأتركك وحيدًا في مواجهة هؤلاء القساة الذين بلا دين  
ولا ذمة!

ابتسم عبدالعالم ابتسامة أب حزين:  
—يا ابنتي. تضحيتي بلا قيمة إن سقطت الوثائق في أيديهم.  
ربت على رأسها:

—أنا عشت حياتي، وعلمت الأجيال، وقدمت رسالتي. أما  
أنتِ.. فأمامكِ يمن كامل يجب أن يشرق فيه الأمل من جديد.  
ثم قال الجملة التي ستبقى في قلب سارة إلى آخر يوم في  
عمرها:

—حريتنا لا تُشترى بالدموع بل بالعمل الدؤوب. عندما  
تكبرين، قولي لعمر إن عمه لم يهرب، بل وقف ليحمي عقله  
وعقول آلاف الأطفال من دنس هذا الكهنوت.  
دفعها بلطف نحو السلم الخشبي الذي يؤدي إلى السطح:  
—اذهي. الآن!

## المشهد الثامن عشر

### افتحام البيت

صعدت سارة الدرج الخشبي بسرعة، وكانت دموعها تتساقط على الدرج قبل أن تصل أقدامها. عندما وصلت إلى السطح، التفتت للحظة، رأت عمها عبدالعالم يسير ببطء نحو الحوش الداخلي. كانت آخر صورة رأتها له: ظهره العريض، وقميصه الأبيض، وخطواته الواثقة كمن يمشي- إلى حفل تكريم، لا إلى مصيدة موت.

ثم سمعت صوت الباب الخشبي وهو ينكسر. سمعت دويًا عنيفًا، ثم صياح رجال، ثم صوت جسد يقع على الأرض.

غطت فمها بيديها، وأكملت الصعود. كان الفجر يتسلل من خلف جبال صنعاء، وكان أذان الفجر يبدأ بالارتفاع من المآذن، كأن المدينة تصلي على روح رجل كان يكتب حتى الرmq الأخير.

## المشهد التاسع عشر

### في الحوش الداخلي

تدفق المسلحون إلى الحوش كالنمل الأسود.  
كانوا أربعة، ملثمين، يرتدون بزات عسكرية سوداء، وعلى  
أسلحتهم شعارات الجماعة الحوثية.

يقودهم مشرف شاب في منتصف العشرينات.  
يرتدي ثوباً شعبياً يمينياً، وفوقه جعبة عسكرية — "مشدة"  
— ممثلة بالذخيرة. على حزامه خنجر سلالي ضخم، كأنه  
يريد أن يقول: أنا من نسل السادة، وأنا أمتلك الحق الإلهي في  
قهرك.

كان اسمه يحيى، لكنهم كانوا يسمونه "أبا جعفر" — كنية  
سلالية منحه إياها الجماعة لتضفي على جهله هالة من  
القداسة.

كانت ملامحه قاسية، ونظراته تنضح بالاستعلاء والتوحش.  
وقف مواجهاً لعبدالعالم.

كان عبدالعالم واقفاً في منتصف الحوش، يده في جيبي  
بنطاله، بلا سلاح، بلا خوف.

كان المشهد أشبه بلوحة فنية عنوانها: العلم يواجه الجهل، أو  
الإنسان يواجه الوحش.

قال أبو جعفر بصوته الأجش، الذي يحاول تقليد أصوات  
المشايخ:

— أهلاً بالأستاذ. أهلاً بالبروفيسور الذي يظن أن جدران  
صنعاء القديمة ستحميه من عين المسيرة.

تقدم خطوة:

— أين الأوراق يا عبدالعالم؟ أين الحاسوب الذي تبث منه  
سمومك وضلالك ضد أسيادك؟

ضحك ضحكة قصيرة، لم تكن مضحكة بقدر ما كانت مقززة:  
— أين الخونة الذين كانوا يجتمعون معك في حدة؟  
نظر عبدالعالم في عينيه.  
لم يرتعب، لم يتراجع.  
بل ابتسم.  
ابتسامة هادئة، كمن ينظر إلى طفل صغير يلعب بالمسدس  
دون أن يفهم ما يفعل.  
قال عبدالعالم بصوته الوقور:  
— أهلاً بك يا 'أبو جعفر'. أو أقول يا يحيى؟  
تقدم خطوة نحو المشرف:  
— أليس هذا اسمك الحقيقي قبل أن تمنحك سلالتك كُنية  
تصل بها وتجول فوق رقاب الناس؟  
كان صوته هادئاً، لكن كلماته كانت كالمنطرة على سندان:  
— أوراقي؟ أوراقي هي عقول الطلاب الذين علمتهم في جامعة  
صنعاء لسنوات. وهي الكتب التي تحرقونها في المراكز الثقافية  
لتستبدلوها بملازم الجهل والموت.  
أشار إلى الخارج:  
— أما الحاسوب.. فهو آلة، والكلمات التي خرجت منه  
أصبحت الآن تجري في عروق هذه المدينة.  
ابتسم ابتسامة المنتصر قبل المعركة:  
— ولن تستطيع أجهزتك الموازية، ولا مخابرات الخيواني، ولا  
استخبارات الشرطة لعلي حسين، أن تتبعها أو تمسكها  
برصاصة.  
اشتعل وجه المشرف غضباً.  
تقدم خطوة ورفع بندقيته، ثم ضرب عبدالعالم بمؤخرتها —  
بأخمص الكلاشينكوف — على وجهه.

سقط عبدالعالم على الأرض.  
وتدفق الدم من جبهته المكسورة.  
لكنه رفع رأسه.  
وعيناه كانتا لا تزالان شاخصتين نحو المشرف.  
لا خوف فيهما.  
لا استسلام.  
بل تحدي خالص.  
صرخ المشرف:  
—اسكت قطع الله لسانك! أنت مجرد منافق، عميل  
للعذوان، تبيع وطنك من أجل حفنة من الريالات!  
زاد صوته حدة:  
—تظن أن شهادتك الدكتوراه تجعلك منك كبيرًا؟ سيدي  
ومولاي عبدالملك هو الكبير، وهو من يحكم هذه الأرض بأمر  
الله ورسوله.  
بصق على الأرض بجانب عبدالعالم:  
—وأنت وأمثالك من المفكرين لستم إلا حطبًا لجهنم إن لم  
تخضعوا لآل البيت وطاعتهم!  
لكن عبدالعالم لم يجب.  
لم يعد هناك داع للكلام.  
كان يعلم أن كلماته قد خرجت، وأنها الآن في طريقها إلى  
العالم.  
أغمض عينيه للحظة، وتذكر وجه سارة وهي تصعد السلم.  
ابتسم.  
ثم سحبه.

## المشهد العشرون أسطح صنعاء القديمة

كانت سارة تجري.  
كانت تركض على الأسطح المتلاصقة كالمجنونة، تقفز من سطح إلى سطح، والظلام لا يزال يكسو المدينة، لكن خيوط الفجر الأولى بدأت تتسلل من خلف الجبال.  
كانت تسمع الصراخ والضرب يأتي من منزل عمها.  
كانت تسمع صوته وهو يصرخ — لا، لم يكن يصرخ، كان صامتًا — لكنها كانت تسمع صراخ جسده وهي تسقط على الأرض.  
توقفت للحظة.  
تنفست بعمق.  
وضعت يدها على صدرها، حيث كان الفلاش ميموري مختبئًا في جيب جلبابها الداخلي.  
رفعت عينيها إلى السماء الرمادية، وهمست:  
—والله لن يضيع دمك يا عم عبدالعالم. والله لن أدعهم يحولون عمر إلى قاتل.  
ثم قالت الجملة التي كانت وعدًا لكل يماني يعرف معنى الحرية:  
—سأصل إلى خولان، وسيعرف الجميع حقيقة هذا الظلم المتوحش.  
ثم تابعت الركض.  
كانت خفيفة كالريح، سريعة كالسهم.  
كانت تحمل في جيبها الصغير أكثر مما تحمل جيوش من أسلحة.  
كانت تحمل حكاية أمة.

## الفصل الرابع: الزنزانة والحصن

### المشهد الحادي والعشرون

جهاز الأمن والمخابرات — صنعاء — الساعة ٧:٠٠ صباحًا  
استيقظ عبدالعالم على رائحة الدم والرطوبة والملح الجاف  
المتقشر من الجدران.

فتح عينيه بصعوبة.  
كان مربوطًا إلى كرسي حديدي مثبت في الأرض الإسمنتية،  
والسقف منخفض جدًا، والضوء الوحيد هو ضوء كشاف نيون  
أبيض قوي يرفرف فوق رأسه، يصدر طنينًا مزعجًا كطنين  
الذباب على جثة.  
ظن للحظة أنه مات.

لكن الألم كان قويًا جدًا لدرجة أنه أيقظه على الحياة.  
كان قميصه الأبيض قد تحول إلى الأحمر. كان الدم ينزف ببطء  
من جرح في جبهته لم يضمده أحد.  
فتح فمه، لكنه لم يستطع الكلام. كان ريقه مختلطًا بالدماء.  
وضع رأسه على صدره، وأغمض عينيه.  
تذكر صنعاء.

تذكر أولاده.

تذكر سارة.

تذكر عمر ذي الثماني سنوات الذي تحول إلى قنبلة موقوتة.  
فُتح باب الزنزانة الحديدي فجأة.

دخل "المهرب".

كان رجلاً بدينًا، ذا ملامح أفعوانية لا تبتسم إلا إذا كانت تتألم.  
لم يكن يحمل سوطًا، بل كان يحمل فنجان قهوة ساخنًا،  
يتصاعد منه البخار.

كان يمشي بروية، كأفعى تحاصر فريستها قبل أن تبتلعها.

وضع الفنجان على طاولة التحقيق الحديدية، وجلس مقابل  
عبدالعالم.

ابتسم. تلك الابتسامة كانت أسوأ من أي صفعه.

قال المهرب بصوته الناعم المتهكم:

— ألم أقل لك يا بروفيسور؟ ألم أحذرك قبل ستة أشهر في  
هذه الغرفة نفسها؟

أشار حوله:

— قلت لك إن الذي يعرف كثيرًا في صنعاء ولا يعرف متى  
يسكت، تنتهي به الطرقات دائمًا تحت الأرض.

نظر إلى الدماء على قميص عبدالعالم:

— ها أنت ذا مجددًا. الدماء على وجهك لا تليق بأستاذ  
جامعي، ولكن عنادك هو من أحضرك إلى مقصلة الخيواني  
وسيدي عبدالكريم.

لم يرد عبدالعالم.

رفع المهرب حاجبه:

— لا تريد الكلام؟ حسنًا. سأحدث أنا.  
اقرب منه:

— أنت تعرف ماذا نريد. التشفير. المفاتيح. عناوين  
السيرفرات الخارجية. أسماء المتعاونين معك.  
همس في أذنه:

— أعطنا هذا، وسنخفف عنك. ربما نطلق سراحك بعد  
شهرين تحت المراقبة. أو ربما نرسلك إلى مسقط أو القاهرة  
للعلاج.

ابتعد قليلًا:

— أما إذا أصررت على الصمت..  
لم يكمل الجملة. لم يحتج.

## المشهد الثاني والعشرون

### الزنازة — تابع

رفع عبدالعالم رأسه ببطء.

كان وجهه منتفخًا، وعيناه شبه مغلقتين من الضرب، لكن النور كان لا يزال فيهما.

نظر إلى المهرب مباشرة.

قال بصوت متحشرج، لكنه كان لا يزال فخمًا، لا يزال قويًا:

—الخوف ليس ممن يملك الكرسي والجلاد يا 'مهرب'.

بصق خيطًا رقيقًا من الدم على الأرض:

—الخوف ممن يملك الحقيقة.

تنفس بعمق:

—أنت وجهارك الموازي، وأمنك ومخابراتك التي صهرتموها لتقمعوا أنفاس الناس، لستم إلا دليلاً على رعبكم.

رفع صوته قليلاً:

—الطاغية لا يبني السجون تحت الأرض إلا لأنه يخاف من ضوء الشمس فوقها.

أشار إلى جرحه:

—ضربتكموني بأعقاب البنادق، كسرتكم مزلاج بيتي العتيق،

ولكن هل استطعتم إيقاف الوثائق؟

ابتسم ابتسامة المنتصر:

—الكلمات التي خرجت من حاسوبي الليلة أصبحت الآن تعبر

القارات، تكشف 'المكتب الأمني الجهادي' ونفضح كيف

تسلبون عقول أطفالنا في الدورات الثقافية لتحولهم إلى قتلة

سلايين.

ثم قال الجملة التي جمدت دم المهرب:

—أنا هنا بجسدي. ولكن روحي وفكرتي تحاصرکم في کل  
شوارع صنعاء.

## المشهد الثالث والعشرون

### غضب المهرب

اختفى التهكم من وجه المهرب.  
تصلبت ملامحه.

ضرب الطاولة الحديدية بقبضته بقوة، حتى اهتز فنجان  
القهوة وسكب محتوياته على الأرض.  
انحنى نحو عبدالعالم، حتى كاد أنفه يلامس أنفه.  
كان صوته يصفر كالأفاعي:

— تظن أن وثائقك ستحميك؟ أو أن قنوات الخارج  
ستنقذك؟

ضحك ضحكة قصيرة:

— قطاع الاتصالات تحت أيدينا، ونحن من نقرأ كل شفرة وكل  
بريد.

همس بصوت أكثر سموًا:

— وبما أنك تتحدث عن علي حسين الحوئي واستخبارات  
الشرطة، فاعلم أن العين التي ترقبك أوسع مما تتخيل.  
ابتعد قليلًا، ثم عاد:

— إذا لم تعطنا التشفير السري للملفات المجدولة، فوالله لن  
يكون موتك عاديًا.

أشار بإصبعه نحو وجه عبدالعالم:

— سنجعل من جسدك الأكاديمي هذا عبرة، وسنأخذ أطفالك  
وعائلتك إلى دوراتنا الثقافية ليتعلموا كيف يلعنون اسمك في  
كل صباح ومساء!

صرخ فجأة:

— في 'المسيرة القرآنية'.. من لا يخضع باللين، يُسحق  
بالحديد والدم!

لكن عبدالعالم كان قد أغمض عينيه.  
لم يعد يسمع.  
كان في مكان آخر.  
كان في صنعاء القديمة، في صباح باكر، يسمع أذان الفجر  
ويتأمل ضوء الشمس وهو يتسلل من القمریات الملونة.  
كان في الجنة التي وعد بها نفسه.  
لم يفتح عينيه إلا عندما سمع باب الزنانة يغلق بقوة.  
كان المهرب قد خرج.  
ترك عبدالعالم وحيداً مع طنين النيون، ورائحة الدم، وانتظار  
المجهول.

## المشهد الرابع والعشرون

خولان — طريق وعر — الساعة ٨:٣٠ صباحًا

في الطرف الآخر من اليمن، في جبال خولان الوعرة، كانت السيارة القديمة — "الشاص القبلي" — تتسلق الجبال ببطء، تاركة خلفها غبارًا كثيفًا كأنها تحاول أن تخفي أثرها.

كان الشيخ أبو بلال يقود السيارة بتركيز شديد، واضعًا شاله الأحمر فوق فمه لحمايته من الغبار المتطاير.

إلى جانبه، كانت نادية جالسة في المنتصف، ممسكة بالحقيبة الجلدية السوداء التي تحتوي على بقية الوثائق. كانت عيناها تبحثان في الأفق البعيد كمن تنتظر خلاصًا أو نهاية.

أما وليد، فكان جالسًا في الخلف، يكتب في دفتره الصغير بسرعة، وكأنه يخاف أن تموت الكلمات قبل أن تسجل.

كانت الجبال من حولهم شاهقة، صخرية، وعرة. لكنها كانت جميلة بجمال اليمن الأصيل.

قال وليد، وهو يرفع عينيه من الدفتر:

— يا شيخ أبو بلال. إذا وصلنا إلى خولان، أول خطوة يجب أن نفعّلها هي إيصال صوت الدكتور عبدالعالم. أشار بقلمه:

— الاعتقال لن يخرسه إن قمنا بواجبنا. يجب أن ننشر الهيكل الأمني الذي فضحه.

بدأ يعدد:

— نظام المشرفين، تغلغل السلالة بناءً على العرق والمذهب، والتجسس الرقمي عبر الاتصالات.

ثم قال بحماس:

— هذه الحقائق هي السلاح الذي سيهدم قدسيّتهم الزائفة أمام القبائل والمواطنين.

التفتت إليه نادية، وعيناها تلمعان بدموع لم تجف بعد:  
—وليد صادق يا شيخ.

ربت على الحقيقة:

—المعانة التي رأيناها في شوارع صنعاء، والبيوت التي هتكها  
الزنبقيات، والتفخيخ الذي يحدث لعقول الصغار مثل عمر  
شقيق سارة.

تنهدت بعمق:

—كل هذا الألم يجب أن يتحول إلى قوة. تضحية الدكتور  
عبدالعالـم بجلوسه في منزله ليوفر لنا وقت النجاة هي دين في  
رقابنا جميعاً.

ثم قالت بثقة:

—لن نستسلم للخوف بعد اليوم.

ابتسم الشيخ أبو بلال ابتسامة عريضة:

—هذا الكلام يا بنتي هو اليمن الحقيقي الذي أعرفه.

أشار بيده نحو الجبال:

—خولان خلفنا، وسنكون في الحصن بعد نصف ساعة.

وهناك سنبدأ المعركة الحقيقية.

## المشهد الخامس والعشرون

حصن الشيخ أبو بلال — خولان — الساعة ٩:٣٠ صباحًا  
وقف الحصن القديم فوق قمة الجبل كطائر جارج ينظر إلى  
الوادي من الأسفل.

كانت جدرانها من الحجارة السوداء الضخمة، بارتفاع عشرة  
أمتار، وبوابته الحديدية لا تفتح إلا بإذن صاحبها.  
دخلت السيارة من البوابة إلى الحوش الداخلي، حيث كان  
حراس الشيخ يقفون بأسلحتهم الآلية، وجوهم متعبة، لكن  
عيونهم يقظة.

نزل الشيخ ونادية ووليد، وكانوا يمسخون الغبار عن وجوهم.  
وفجأة، سمعوا صوت ركض سريع من جهة البوابة الخلفية.  
التفت الجميع بأسلحتهم.  
لكن لم يكن هناك عدو.

كانت سارة.

كانت تترجل من فوق دابة استعارتها من قرية قريبة، وكانت  
عباءتها السوداء قد تحولت إلى اللون البني من شدة الغبار  
والتراب.

كان وجهها شاحبًا، وعيناها محمرتان، لكنهما كانتا تشعان  
بعزيمة لم تكن موجودة من قبل.

ركضت نحو الشيخ، وسقطت على ركبتها من شدة الإرهاق.  
رفعها الشيخ بيديه القويتين:

— يا بنتي. سارة. هل أنت بخير؟  
بكت سارة:

— عمي.. عمي عبدالعالم.. اعتقلوه.  
حاولت تمالك نفسها:

— رأيت المشرف أبا جعفر يضربه بأخمص البندقية ويسحبه  
كالمجرمين في صندوق الهيلوكس السوداء.  
رفعت عينيها نحو السماء:  
— سحبوه والدماء تسيل من وجهه، لكنه لم ينحن لهم.  
ثم همست:  
— قال لهم إن الكلمات أصبحت في عروق المدينة ولن تموت  
برصاصة.  
جميعهم صمتوا.  
كان الموت قد زارهم قبل أن يزور أعداءهم.

## المشهد السادس والعشرون

### الFLASH ميموري

دخلوا جميعًا إلى غرفة المضافة في الحصن — الديوان القبلي الكبير.

كانت الغرفة واسعة، مفروشة ببسط صوفية يمنية قديمة، وفي زاويتها رفوف مليئة بالسيوف والخناجر القديمة والبنادق التراثية.

في منتصف الغرفة، كانت المدفأة الحجرية لا تزال تحتوي على رماد نار قديم.

جلس الجميع.

مدت سارة يدها إلى جيب جلبابها الداخلي، وأخرجت الفلاش ميموري الصغير.

وضعته على الطاولة الخشبية القديمة بينهم.

كان الفلاش صغيرًا جدًا، أبيض اللون، لا يتجاوز حجمه حجم إصبع الإبهام.

لكنه كان يحمل أكثر من أي جبل من وثائق.

كان يحمل حياة عبدالعالم، وموته، وحياة آلاف غيره.

نظرت سارة إلى الفلاش، ثم إلى الجميع، وقالت:

— هذا هو 'الخط الأحمر'.

رفعت عينيها:

— عمي عبدالعالم يضحي بنفسه من أجله. وقال لي: حولي

ألمك إلى وقود. انشروا الأجهزة الموازية، افضحوا استبدادهم وظلمهم.

بكت للحظة، ثم أكملت:

— ولا تدعوا أطفال اليمن يتحولون إلى جلادين وقتلة.

ساد الصمت.

ثم وقف الشيخ أبو بلال.  
سحب جنبتيه التقليدية من حزامه، ووضعها على الطاولة  
بجانب الفلاش.  
قال بصوته القبلي الغيور:  
—والله. وثم والله.  
نظر في أعينهم:  
—إن دم الدكتور عبدالعالم القدسي هو نكفنا القبلي والوطني  
من اليوم وصاعدًا.  
أشار إلى الفلاش:  
—اعتقلوا الجسد، لكن الفكرة عادها حية في خولان وفي كل  
شبر حر من اليمن.  
ثم قال:  
—يا وليد.. افتح الحاسوب. ويا نادية.. جهزي الوثائق.  
رفع صوته:  
—سنبدأ حربنا من هنا. حرب العقول التي تفكك أجهزتهم  
الموازية ومشرفيهم الكهنة.  
غمز بعينه:  
—الحرية لا تُعطى بل تُنتزع انتزاعًا.

## المشهد السابع والعشرون والأخير

### بداية البث — ختام الحلقة الأولى

فتح وليد حاسوبه المحمول البديل، الذي كان موصولاً بشبكة إنترنت فضائية مستقلة، خارج رقابة قطاع الاتصالات الحوئي. أدخلت سارة الفلاش ميموري في منفذ USB. ظهرت الملفات على الشاشة.

كانت مئات الصفحات، آلاف الكلمات، عشرات الجداول والهياكل التنظيمية، كلها موثقة بعناية، مرقمة، مختومة بختم غير رسمي لكنه كان ختم الحق. ضغط وليد على زر الفأرة.

ظهرت على الشاشة عبارة باللون الأخضر المشع:

"بدء البث والنشر — الإعلاني"  
"كتاب الخط الأحمر: الفصل الأول"  
"هيكل الظل الحوئي"

وقفت سارة إلى جانب وليد، وعيناها شاخصتان نحو الشاشة. إلى جانبها وقفت نادية، تمسك بيدها. وخلفهم وقف الشيخ أبو بلال، ممسكًا بجنبتيته وكأنه يحمي البث من أي هجوم إلكتروني.

في تلك اللحظة، في زنزانة الأمن والمخابرات تحت صنعاء، كان عبدالعالم القدسي وحيدًا. كان مصيره مجهولًا.

لكن صوته لم يكن مجهولاً بعد الآن.

لقد خرج صوته من تلك الزنزانة، ومن تلك المدينة، ومن ذلك البلد، إلى العالم كله.

لقد خرجت الكلمات. ومع الكلمات، خرج الأمل. ومع الأمل، خرجت اليمن من تحت الرماد.

## غرفة العمليات المشتركة تحت الأرض — مقر "وزارة الداخلية" المخطوفة — ص————نعاء النهار — الساعة العاشرة صباحًا

كانت الغرفة تحت الأرض تشبه رحمًا مات جنينه منذ زمن.  
إضاءة حمراء خافتة تنبعث من شاشات رادار ضخمة، لكنها  
كانت مطفأة، عيونها العمياء تحرق في الفراغ كمن فقد القدرة  
على الرؤية. الغرفة كانت غارقة في فوضى بصرية لا توصف:  
أوراق محترقة متناثرة على الأرض كأوراق الخريف بعد حريق،  
خرائط عسكرية ممزقة لخطوط الجبهات، وهياكل حديدية  
ملتوية كأضلاع حيوان نافق، كلها كانت شواهد على خمس  
ضربات جوية متتالية دمرت ما كان يُسمى "مقرات جهاز الأمن  
والمخابرات".

الغبار الإسمتي لا يزال عالقًا في الجو، يتحرك ببطء تحت  
وهج شاشة وحيدة، شاشة لم تسلمها القنابل، كانت تعرض  
تقريرًا استخباراتيًا يحمل شعارًا أحمر: "سري للغاية".  
كان أزيز أجهزة التكييف المركزي المعطلة يملأ المكان، كأنين  
جريح لا يموت. ومن الممر الخارجي، كان يصل صوت ترديد  
"الصرخة" الحوثية بشكل متقطع، كشريط قديم يتمزق بين  
الحين والآخر.

في تلك الغرفة، حيث كانت تدار عمليات القمع والتجسس  
على الملايين، لم يكن أحد يعلم أن سقفها كان يهتز هذه الأيام  
ليس بقنابل الطيران، بل بزلزال أشد فتكًا: زلزال الخيانة  
الداخلية وصراع الأجنحة.

## المشهد السابع والأربعون مكتب "وزير الداخلية" — داخل المقر تحت الأرض

كان المكتب فخماً على نحو بغيض.

سجاد إيراني سميك، وثرديات نحاسية ثقيلة، وكراسي جلدية واسعة كعرش أمبراطور متوهم. لكن من يجلس خلف المكتب هذه المرة لم يكن يشبه أمبراطوراً، بل أشبه بشور جرحته الذبابة وأصابه الهذيان.

كان عبد الكريم الحوئي — عم زعيم المليشيا، الرجل الذي انتحل صفة وزير الداخلية — يجلس هناك، ملامحه السلالية الحادة التي كانت دوماً مصدر فخر له، تبدو اليوم مغبرة، عيناه الغائرتان تعكسان حجم التصدع والارتباك الذي لم يعهده في حياته.

لم يكن الارتباك بسبب الضربات الجوية وحدها، بل بسبب شيء آخر: مقتل محمد الغماري، العقل العسكري المدبر للجماعة، ورئيس حكومتهم الظل، وإحدى عشرة قيادة كبرى في غارة جوية واحدة. كانت تلك الضربة كالصاعقة التي أخرجت الكهنة من حصونهم الوهمية.

كان يقف أمامه علي حسين الحوئي، نجل مؤسس الجماعة، الشاب السلالي الذي لم يتجاوز الثلاثين، لكنه كان يرتدي بدلة عسكرية سوداء فاخرة، ويمسك بملف جلدي أسود بكل ثقة واستعلاء. كان ملامحه تشبه ملامح أبيه — بدر الدين — في غطرسته الصامتة، لكنها كانت تحمل شراسة لم يعرفها الأب.

ضرب عبد الكريم الحوئي بيده — التي كانت تحمل ختمًا كبيرًا يرمز إلى وزارته المزيفة — على الطاولة بقوة، وقال بنبرة مخنوقة بالغضب السلالي:

—يا علي. مقتل الغماري لم يكن ضربة عسكرية عابرة، بل  
كان زلزالاً عرى عوراتنا الاستخباراتية أمام أتباعنا!  
نهض من كرسيه قليلاً، ثم جلس مجدداً:  
—خمس ضربات دقيقة في قلب صنعاء نسفت خمسة من  
أكبر مقراتنا. هذا يعني أن أسرارنا تُباع في أسواق الاستخبارات  
الدولية.  
نظر في عيون ابن أخيه، وكانت نظرتة تحمل شيئاً لم يره فيه  
من قبل: خوفاً حقيقياً.  
—عبد الحكيم الخيواني وجهازه — الأمن والمخابرات —  
أصبحا سوراً قاصراً، عاجزين عن حماية رؤوس القيادات. لقد  
انتهت صلاحيته يا ابن أخي.  
أشار بإصبعه نحو نافذة المكتب الوهمية (التي كانت مجرد  
شاشة تظهر مدينة صنعاء من الخارج):  
—والخيانات تنخر في جسد أجهزته المحسوبة على أجنحة  
القبائل والموالين من خارج العائلة!  
تنفس بعمق، وأضاف بنبرة شبه هامسة:  
—الخيواني لم يعد صالحاً. لقد انتهى.

## المشهد الثامن والأربعون مكتب وزير الداخلية — تابع

ابتسم علي حسين الحوئي.

كانت ابتسامته باردة كالثلج الذي يذوب في جرح مفتوح. لم يضحك، بل ارتسمت على شفثيه ابتسامة من يعرف أن الوقت قد حان، وأن اللعبة انتقلت إلى يديه.

وضع الملف الأسود أمام عمه على الطاولة، وأسند يده على حافة المكتب بحركة واثقة، ممتدة، كمن يعلن أن الكرسي الذي يجلس عليه عمه لم يعد كافيًا لطموحه.

قال بنبرة سينمائية طويلة، تحمل ثقل النفوذ الممنوح له من أعلى قمة في الهرم:

— عمي عبد الكريم. أنا لم أنتظر أن يسقط الخيواني وحده، بل حفرْتُ له القبر بيدي منذ أسست 'جهاز استخبارات الشرطة'.

تقدم خطوة، ورفع إصبعه:

— جهازي الآن يراقب أجهزة الخيواني قبل أن يراقب الأعداء!

همس، وكان همسه كأزيز الأفاعي:

— عمي عبد الملك يعيش هاجسًا حقيقيًا في صعدة. يخاف أن يكون الضحية التالية لهذه الاختراقات. لقد منحني الصلاحيات المطلقة لإزاحة الوجوه التي ظنت أنها شريكة في هذا الحكم.

نظر حوله كمن يتفقد مملكته المستقبلية:

— التمكين الكامل لأسرتنا هو الخيار الوحيد. يجب دمج

الأجهزة الخمسة فورًا.

بدأ يعد على أصابعه:

—الأمن الوقائي لإحسان الحمران، واستخبارات الشرطة التابع لي، وأمن الثورة لجعفر المرهبي، والاستخبارات العسكرية لأبي علي الحاكم، وما تبقى من ركام جهاز الخيواني. رفع صوته قليلاً:

—كلها تُصهر في قبضتي أنا!

ثم قال الجملة التي كان ينتظر أن يقولها طويلاً:

—لنحصر- الفشل، ونقصي- كل من هو خارج دائرة الدم السلالي الضيقة.

نظر في عيون عمه، وتلك النظرة لم تكن تحمل طلباً ولا استئذاناً، بل كانت تحمل إعلاناً.

جلس عبد الكريم الحوئي صامتاً لوهلة.

كان يعلم أن هذا اليوم سيأتي، لكنه لم يكن يتوقع أن يكون بهذه السرعة، ولا بهذه القسوة.

همس، وكأنه يتحدث إلى نفسه:

—لقد بدأنا نأكل بعضنا بعضاً.

لم يرد عليه علي حسين.

لم يكن بحاجة إلى رد.

المشهد التاسع والأربعون  
فناء مبنى "مكتب المبعوث الأممي" المدهام — حي حدة  
— صنعاء

النهار — الساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا  
كانت الكاميرا — أو البصيرة — تتحرك الآن كعين ثائرة،  
سريعة، مربكة، كمن يرى كابوسًا يحدث على أرض الواقع.  
أطقم عسكرية تابعة لـ "استخبارات الشرطة" — تلك الأداة  
الجديدة في يد علي حسين الحوثي — كانت تحاصر المبنى من  
كل جانب. مسلحون ملثمون بأقنعة سوداء يكسرون الأبواب  
الزجاجية للمنظمات الأممية، وكان صوت الزجاج يتكسر-  
كأصابع عظام هشة.

يخرجون موظفين يمينيين وأجانب مكبلي الأيدي، وجوهمهم  
مرعوبة، وملابسهم مبعثرة، كدجاج خرج من قفص بعد أن  
عصف به صياد جائر.

رگزت الكاميرا على موظف إنساني يمني، كان يعمل سابقًا في  
إغاثة غزة. كان يتم سحبه بعنف من ياقة قميصه، حتى انقطع  
زره الأعلى وتدلّى. في تلك اللحظة، سقط جواز سفره على  
الأرض، وانفتح ليكشف عن تأشيرة دخول قديمة إلى الأراضي  
الفلسطينية المحتلة عبر معبر رفح.

صرخ الجندي الذي كان يسحبه — وكان صوته يحمل بهجة  
الوحش حين يجد فريسته:

— يا مشرفنا! انظر.. هذا الخائن يحمل تأشيرة دخول  
إسرائيلية في جوازه! كان يعمل في غزة بغطاء إنساني!

تقدم المشرف القائد — شاب في العشرينات، يرتدي نظارات  
شمسية سوداء رغم أن الشمس لم تكن شديدة — وأخذ

الجواز بين أصابعه القذرة. تأمله للحظة، ثم ضحك ضحكة وحشية، متغطسة، كمن وجمعه الكنز المفقود. قال بصوته الأجش:

— خذوه فوراً إلى زنازين القلعة! هذا هو السور القصير الذي سنرمي عليه فشلنا الأمني.

تقدم خطوة نحو الموظف المرتعب:

— صوّروه تحت الإكراه، واجعلوه يعترف أمام الكاميرات بأنه العقل الاستخباراتي الذي حدد إحداثيات موقع الغماري والضربات الجوية.

ثم التفت إلى الكاميرات التي كانت تصورهم — كاميراتهم هم بالطبع، كاميرات الدعاية:

— دعوا قطيعنا يرى أننا نمسك بالجواسيس، وليرتفع الحرج عن المسيرة!

جرّوا الموظف الإنساني إلى داخل الطقم.

كان وجهه شاحباً كموت، لكن عينيه — للحظة — التقتا بكاميرا خفية كانت تراقب من سطح مجاور.

في تلك النظرة، كان هناك شيء من اليقين: أن هذه اللحظة ستدون، وأن كذبهم لن يطول.

المشهد الخمسون  
ديوان "أحمد حامد" — مدير مكتب مجلس الحكم  
الانقلابي — صنعاء  
الظهر — الساعة الواحدة ظهرًا

كان الديوان واسعًا جدًّا، مترفًا، مفروشًا بالسجاد الإيراني الفاخر الذي كانت تطؤه أقدام التجار والوزراء والوسطاء. النوافذ تطل على مساحات شاسعة من الأراضي التي تم السيطرة عليها مؤخرًا — أراضي نهبت من ملاكها بزعم "المصلحة العامة" — ثم وزعت على تجار السلالة الجدد الذين يديرون اقتصاد الحرب من خلف الستار.

يجلس أحمد حامد على كرسي يشبه العرش، بكامل أناقته السلالية: ثوب يميني فاخر من الكتان الأبيض، وشال أحمر ملفوف على كتفه اليميني، وعقال لا يليق إلا بكبار المشايخ — وهو لم يكن شيخًا، بل كان رجل مال وأعمال جعلته الحرب مليارديرًا بين ليلة وضحاها.

بجانبه، على حافة المتكأ، جلس سلطان السامعي، عضو المجلس السياسي التابع للمليشيا، المنتمي إلى محافظة تعز. كان واضحًا أنه الطرف الأضعف في هذه العلاقة. كان يجلس كمن يجلس على جمر، جسده لا يلمس ظهر المتكأ، وعينه تائهتان، وعلامات القهر والإقصاء تملأ وجهه.

بدأ السامعي يتحدث، وصوته كان يرتجف — ليس من الخوف فقط، بل من الغيظ والوجع الجغرافي والسياسي معًا: — يا أحمد حامد.. إلى أين تسIRON بالبلاد؟

تنفس بعمق:

— قبل ثمانية أشهر، أعلن السيد عبد الملك عن 'تغييرات جذرية' ووعد الناس بإصلاح الأوضاع المزرية واجتثاث الفساد وإقالة حكومة بن حبتور.

نظر إلى عيني أحمد حامد، محاولاً التقاط أي إشارة تعاطف: — فرحنا وفرح المعارضون ل نفوذك، وظنوا أن هيمنتك على المؤسسات الاقتصادية والمالية ستنتهي! لكن الذي حدث مخيب للآمال. زاد صوته قليلاً:

— بن حبتور أقيـل كشـماعة، وأنت باقـي في موقعك! والقطاع التجاري والأراضي كلها أصبحت بيد لـجنتكم الاقتصادية. ثم قال الجملة التي يعرف أنها ستجعله في قائمة الخطر: — حولتم نظام الحكم إلى نسخة مطابقة ل طهران، وأقصيتم كل من هو خارج صعدة! ساد صمت.

كان أحمد حامد يرتشف الشاي ببرود شديد. لم يلتفت إلى السامعي بكامل جسده، وكأنه لا يستحق حتى الإزعاج. ثم وضع الفنجان ببطء، ورفع رأسه.

## المشهد الحادي والخمسون

ديوان أحمد حامد — تابع

نظر أحمد حامد إلى سلطان السامعي بنظرة استخفاف واضحة، نظرة من يرى حشرة على جدار، وتتساءل: كيف تجرأت هذه الحشرة على الطيران فوق رأسي؟

قال بنبرة باردة، ممتدة، سامة، تشق صدر الصمت:

— يا سامعي. التغيير الجذري الذي أعلنه السيد كان يمس جوهر الدستور وطبيعة نظام الحكم، لولا أنكم وفروع أحزابكم المتهالكة وجناح المؤتمر أبديتهم معارضة ووضعتهم اشتراطات واهية.

وقفت — لا، لم يقف، بل تمدد في كرسيه كأسد يشبع:

— السيد استغل حرب غزة بذكاء ليهرب من وعوده للناس، ولتأجيل التغيير الذي رفضه الشعب.  
ضحك ضحكة قصيرة:

— نحن نبني طبقة جديدة من التجار والأثرياء السلايين يا سلطان، نشترى الأراضي ونقيم المشاريع، لأن هذا الحضور الاقتصادي هو ضمانتنا في أي تسوية قادمة.  
ثم أدار جسده كله نحو السامعي، كمن يقرر أخيراً أن يوجه له الضربة القاضية:

— أما أنت. فتصريحاتك في الإعلام واتهاماتك لنا بالعمالة لأمريكا وإسرائيل، نعرف غرضها. تريد تحسين موقعك لأنك من تعز.

اقرب منه قليلاً، وكان صوته يهمس الآن:

— اسمعها مني: الصلاحيات والقرار والمال هنا. في صعدة أولاً. وثانياً. وإلى الأبد!  
جمد سلطان السامعي في مكانه.

لم يرد.  
كان يعلم أن أي كلمة سيقولها الآن قد تكون آخر كلماته في  
هذه الحياة.  
قام بهدوء، ولم يودع أحداً.  
مشى نحو الباب، وكانت خطواته ثقيلة كمن يحمل جبلاً من  
الذل على ظهره.  
عند الباب، توقف للحظة.  
لم يلتفت.  
ثم خرج.  
أغلق الباب خلفه بهدوء — أو ربما سمعوا وقع رأسه وهو  
يصطدم بالعضادة، لكن أحداً لم يسأل.

## المشهد الثاني والخمسون ممر المخابئ السرية تحت حصن خولان — مقر المقاومة الجديد

العصر — الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة  
كان الممر الحجري مظلمًا، ضيقًا، باردًا، يشبه الممرات التي  
حفرها اليمينيون القدماء تحت بيوتهم لتخزين الحبوب  
والسلاح. لكن اليوم، كانت هذه المخابئ تخزن شيئًا أثمن:  
الأمل.

كان وليد يمشي- بسرعة، خطواته السريعة تتردد على الأرض  
الحجرية، وفي يده هاتف يضيء شاشته بأخبار عاجلة. خلفه،  
كان الرائد سلطان المطري قد وصل للتو من صنعاء، متسللاً  
عبر طرق جبلية وعرة. كان معطفه العسكري مغطى بالغبار،  
ووجهه ينطق بمرارة الخذلان العسكري، لكن عينيه ظلتا  
تحتفظان بذلك البريق الذي لا يموت عند من رأى كثيرًا وما  
زال يقف.

التفت وليد نحو الرائد، وقال بنبرة متحمسة ممتزجة بالقلق:  
— يا رائد سلطان. انظر إلى الشاشات!  
مد إليه هاتفه:

— الحوثيون يشنون حملة جنونية ضد موظفي الأمم  
المتحدة والمنظمات الدولية في صنعاء وإب والحديدة وذمار!  
يعتقلون النساء والرجال ويلفقون تهم التجسس!  
نظر الرائد إلى الشاشة، ثم رفع رأسه بتؤدة:  
— ما الذي يحدث داخل هرمهم الأمني؟  
لم ينتظر إجابة وليد، بل ابتسم ابتسامة عسكرية باردة،  
ابتسامة من يفهم اللعبة قبل أن تلعب.

وقف، ووضع يده على كتف وليد، وقال بنبرة تحليلية،  
عسكرية، حاسمة:

— هذا ليس قوة يا وليد. هذا هو التخبط بعينه.

بدأ يمشي ذهابًا وإيابًا:

— معركة كسر العظم بلغت ذروتها داخل أجنتهم. الضربات  
الجوية التي قتلت الغماري وفجرت مقرات المخابرات عرت  
فشل عبد الحكيم الخيواني.  
توقف، وأشار بإصبعه:

— عائلة الحوئي استغلت هذا الانهيار لتصفي حساباتها  
البينية. علي حسين الحوئي يقود الحملة بأمر من عمه عبد  
الملك لإزاحة الخيواني والسيطرة الكاملة للعائلة على مفاصل  
الأمن.

اقترب من وليد:

— إنهم يختطفون الموظفين الدوليين لجعلوهم سوريًا قصيرًا  
يرمون عليه فشلهم، ويوثقون اعترافات بالإكراه ليقتنعوا  
قطيعهم بأنهم مخترقون من الخارج لا من الداخل.  
ثم ابتسم — تلك المرة بثقة — وقال:

— إنها فرصة تاريخية لنا. منظومتهم تتآكل من الداخل بسبب  
الفساد وصراع الأجنحة.

رفع صوته:

— وهذا هو وقت الضربة الموجهة.

### المشهد الثالث والخمسون

#### غرفة البث الرقمي — حصن خولان العصر — تابع

كانت الغرفة صغيرة، لكنها كانت تحمل عالمًا كاملاً بين جدرانها الحجرية. على الطاولة الخشبية الطويلة، كانت ثلاثة حواسيب محمولة موصولة بشبكة إنترنت فضائية مستقلة، كانت صنعاء تعجز عن اختراقها — أو على الأقل، كانت تتظاهر بالعجز.

جلست نادية وسارة أمام إحدى الشاشات، يتأملان واجهة منصة "الخط الأحمر" السرية التي بدأت تنتشر كالنار في الهشيم بين اليمينين.

كانت سارة تتأمل الفلاش ميموري الصغير الأبيض — فلاش عمها الدكتور عبدالعالم — الذي كان مازال موصولاً بالحاسوب، كقلب صناعي يضخ الحياة في جسد المقاومة. كانت دموعها ممزوجة بالأمل الدؤوب، ذلك الأمل الذي لا يعرف الاستسلام حتى في أحلك اللحظات.

وضعت نادية يدها على كتف سارة، وقالت بنبرة سينمائية مليئة بالعاطفة والمقاومة، نبرة من تعرف أن الألم يمكن أن يتحول إلى سلاح إذا عرفنا كيف نشحذه:

— يا سارة. هذا التمزق في صنعاء هو ثمرة ظلمهم

واستبدادهم.

تنهدت:

— حكومة بن حبتور المقالة كانت بلا صلاحيات، والآن

عاجزون حتى عن تشكيل حكومة جديدة لأن حجم المصالح والسرقات بينهم أكبر من أن تُقسم.

أشارت إلى الشاشة:

— كل جناح لديه ملفات ضغط وداعمون، وعبد الملك الحوثي يحاول التوفيق بينهم بتدوير المناصب لتجنب الصدام الداخلي العنيف.  
ثم قالت الجملة التي كانت تحمل كل معنى وجودهم في هذا الحصن:

— عملنا الدؤوب الآن هو أن نضرب إسفيتًا في هذا الصدع.  
رفعت صوتها قليلاً:

— سنبتث الفصل الثاني من 'الخط الأحمر' ونكشف تفاصيل صراع علي حسين الحوثي والخيواني. ليعلم جنودهم البسطاء أنهم يموتون في الجبهات من أجل عروش وثروات عائلة سلالية واحدة لا تثق حتى بحلفائها!  
نظرت سارة إلى نادية، وإلى الفلاش، ثم إلى السماء من نافذة الحصن الصغيرة.

همست:

— عمي عبدالعالم قال لي: حولي ألك إلى وقود.  
مسحت دموعها بكم جلبابها:  
— سأفعلها يا نادية. سأفعلها من أجل عمر.

## المشهد الرابع والخمسون

زنزانة الدكتور عبدالعالم القدسي — جهاز الأمن

والمخابرات — صنعاء — ليلاً — الساعة الثامنة مساءً

كانت الزنزانة كما تركها: جدران رطبة، سقف منخفض، ضوء كشاف أبيض يرفرف كروح قلقة، وطنين كهربائي لا يتوقف كنفضات جهاز مراقبة قلب مريض في العناية المركزة. الدكتور عبدالعالم القدسي كان مقيداً إلى الجدار بحبال خشنة كانت تترك علامات حمراء على معصميه. كانت ملامحه متعبة جداً، وعينه نصف مغمضتين، والجوع بدأ يظهر على وجنتيه الغائرتين.

لكنه لم يكن نائماً.

كانت عيناه — رغم كل شيء — تنظران إلى فتحة تهوية صغيرة في السقف، فتحة لا تتجاوز حجم قبضة اليد، لكن من خلالها كان يتسلل ضوء القمر النحيل، ضوء كالذي كان يراه في طفولته في صنعاء القديمة، حيث كانت الليالي صافية والقمر يملأ الحوارى بنوره الفضي.

سمع فجأة ضجيجاً في الممرات الخارجية.

كانت أصوات جديدة. أصوات صراخ، وبكاء، ورنين قيود حديدية تُجر على الأرض الإسمنتية. كانت أصوات الموظفين الأميين المختطفين حديثاً، الذين اقتيدوا إلى زنازين لم يروا لها مثيلاً في حياتهم.

ابتسم عبدالعالم.

كانت ابتسامته حزينة، عميقة، كمن يرى tragedy تتكشف أمامه لكنه لا يستطيع فعل شيء.

أغلق عينيه، وبدأ يتحدث — بصوت داخلي، أو بصوت الراوي الذي كان يعيش في داخله دائماً:

—لقد جلبوا ضحايا جددًا الليلة إلى المسلخ. موظفون  
بسطاء، ومنظمات دولية، جعلوا منهم جدارًا يدارون به  
عورتهم الاستخباراتية ومقتل عقولهم العسكرية.  
تنفس بعمق:  
—يتقاتلون على الحصص والمناصب، وعلي حسين يجمع  
خيوط الرعب ليصنع مقصلة عائلية خاصة.  
فتح عينيه، ونظر إلى ضوء القمر مجددًا:  
—اظلمي يا صنعاء ما شئت أن تظلمي، فكلما زاد شلل هذه  
السلطة وتعفننها بفسادها، كلما اقتربت لحظة الانفجار الكبير.  
همس، وكان صوته الداخلي يملأ الزنانة كله:  
—المقاومة لا تموت بالاعتقال، والحرية تولد من رحم هذا  
التمزق!

## الفصل الثاني: عندما تشرق الكلمات

### المشهد الخامس والخمسون

غرفة البث الرقمي المشفر — حصن خولان

الليل — الساعة الثامنة والنصف مساءً

كانت الغرفة الحجرية تضيء الآن بلون أزرق فوسفوري، منعكس من شاشة الحاسوب التي كانت واجهة منصة "الخط الأحمر" السرية تتصدرها. كانت الأصابع التي تضرب لوحة المفاتيح هذه المرة أصابع وليد، وكانت ترتجف — ليس خوفًا، بل حماسة وثورة.

نادية تقف خلفه مباشرة، ممسكة بقوة بملف الدكتور عبدالعالم الأحمر، وعيناها مثبتتان على مؤشر رفع البيانات الذي كان يقترب ببطء من النهاية. سارة تجلس في زاوية الغرفة، تضم ركبتيها إلى صدرها، لكن عينيها كانتا تلتمعان بذلك البريق الذي لم يعد خوفًا، بل أمل وعمل دؤوب.

كان طنين مروحة الحاسوب يمتزج بصوت الرياح الجبلية العاتية وهي تضرب النوافذ الخشبية للحصن في الخارج، وكأن الجبال نفسها تتابع ما يحدث، وتنتظر.

## المشهد السادس والخمسون

### غرفة البث الرقمي — تابع

رفع وليد إصبعه للحظة، ونظر إلى نادية. كانت عيناه تسألان:  
الآن؟

أومأت نادية برأسها.

ضغط وليد بقوة على زر الإدخال.

تومض الشاشة لعبارة بيضاء على خلفية زرقاء:

**"تم النشر بنجاح — البث الشامل يخترق سيرفرات صنعاء"**

تراجع وليد قليلاً في كرسيه كمن أنهى سباقاً طويلاً.

ثم التفت إلى نادية، ووجهه الشاب كان ينطق بانتصار الثائر

الذي كسر القيد الرقمي. قال بنبرة تتدفق بالثورة، بالحرارة،

بالكلمات التي كانت محبوسة زمناً طويلاً:

—لقد فُتحت أبواب الجحيم فوق رؤوسهم يا نادية!

وقف وبدأ يمشي بحماس:

— كسرنا جدار الصمت الرقمي الذي يديره محمد حسين

الحوثي عبر 'الاتصالات الجهادية'.

أشار إلى الشاشة:

—الآن، في هذه اللحظة، ملف صراع الأجنحة يبث مباشرة في

شبكات الموظفين، وضباط الأمن، والقبائل.

توقف، ورفع صوته قليلاً:

—سيعلم كل جندي يماني بسيط في معسكرات صنعاء أن

دماء القادة مثل محمد الغماري التي سُفكت في الضربات

الجوية، لم تكن إلا ثمرة خيانة داخلية وفشل استخباراتي

لجهاز عبد الحكيم الخيواني.

ثم قال الجملة التي كانت خلاصة كل شيء:

— وأن عائلة الحوئي تستغل أشلاءهم لتصفية الحسابات  
والتمكين لعلي حسين الحوئي وجهازه المستحدث 'استخبارات  
الشرطة'.  
اقترب من الشاشة، ووضع يده عليها كمن يلمس حقيقة:  
— هذه الكلمات هي مشرطنا الذي سيقطع حبال كذبهم.

## المشهد السابع والخمسون

### غرفة البث الرقمي — تابع

تقدمت نادية خطوة، ووضعت يدها على الطاولة. كانت عيناها تشعان بوعي قانوني مصبوغ بوجع المقاومة والتضحية الدؤوبة، ذلك الوعي الذي اكتسبته من سنوات من العمل في المحاكم التي لم يعد لها سلطان، وفي صالات التقاضي التي تحولت إلى مهاجع للغبار. قالت، وكان صوتها يمتد في الغرفة كأنفاس الحزن والغضب معًا:

— نعم يا وليد. دعه ينشر، دعه يشرح كيف حول عبد الكريم الحوثي وعلي حسين وزارة الداخلية إلى دكان سلالي خاص بعائلتهم، وكيف يُقصون قادة القبائل والموالين لهم الذين بذلوا أرواحهم لأجل مسيرتهم المزعومة. رفعت الملف الأحمر:

— ليعلم العالم أن حملة الاختطافات المسعورة ضد موظفي الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ومكتب المبعوث الأممي في صنعاء وإب والحديدة، ليست إلا مسرحية هزيلة. نظرت نحو سارة، ثم نحو وليد:

— إنهم يتخذون من الأبرياء سورًا قصيرًا يرمون عليه فشلهم الأمني والعسكري أمام أتباعهم. ثم قالت بصوت أكثر حدة:

— يلفقون التهم لمن قضى عمره في الإغاثة الإنسانية، كال موظف الذي اعتقلوه لمجرد تأشيرة غزة. رفعت رأسها عاليًا:

—الصرخة الحقيقية الليلة ليست صرختهم الكاذبة، بل هي  
صرخة الحق التي تخرج من هذا الحصن لتعري قمع الخيواني  
وتوحش علي حسين الحوئي.  
سكتت للحظة، ثم همست:  
—لقد حان وقت كشف القناع.

## المشهد الثامن والخمسون

مكتب "عبد الحكيم الخيواني" — مقر مؤقت مستحدث

تحت الأرض — صنعاء — الساعة التاسعة والرابع مساءً

كان المكتب مختلفًا تمامًا عن مكاتب أحمد حامد الفخمة. كان إسمنتياً عاريًا من أي مظاهر فخامة، لكن هذا العراء لم يكن تواضعًا، بل كان تعبيرًا عن حالة الارتباك التي يعيشها صاحب المكتب بعد أن دمرت خمس غارات جوية مقراته الأصلية.

جلس عبد الحكيم الخيواني — رئيس جهاز الأمن والمخابرات — خلف مكتب صغير من الحديد، وكانت ملامحه متشنجة، وعروق عنقه بارزة كالجمال، وهو يحدق في شاشة هاتف مشفر يعرض بث "الخط الأحمر".

كان وجهه يتقلب بين الاحمرار والاصفرار، كمن يشرب سمًا بطيء.

أمامه كان يقف ضابطان برتب رفيعة من قادة الجهاز القدامى. كانا من غير السلايين، من أبناء القبائل الذين ظلوا مواليين للخيواني لعقود. كانا يرتديان بزات عسكرية ممزقة الأطراف، وعلامات الإهانة والإقصاء واضحة في وقفتهما الخائفة والمتوترة.

فجأة، صرخ الخيواني بصوت مبحوح، مرعوب، ليس من فقدان السيطرة فقط، بل من فقدان النفوذ الذي ظنه أبدىًا: — كيف اخترقوا الشبكة؟ أين محمد حسين الحوثي وأمنه الرقمي؟

رمى الهاتف على الطاولة:

— هذا الكلام المكتوب في 'الخط الأحمر' ليس مجرد مقال. هذا تسريب لهياكلنا السرية!

نهض من كرسيه، وبدأ يمشي بسرعة كالأسير في قفص:

—إنهم يقولون للضباط والجنود إنني عاجز وفاشل، وإن علي  
حسين الحوثي هو البديل القادم بأمر من عمه عبد الملك.  
توقف فجأة، ونظر إلى الضابطين:  
—يريدون تدمير جهازي، يريدون دمجنا في أجهزة إحسان  
الحرمان وأبو علي الحاكم ليطيحوا برأسي ويحصروا القوة في  
عائلة صعدة الضيقة.  
صاح فجأة:  
—من أين خرجت هذه المعلومات؟  
كان صوته يتردد في الغرفة الإسمنتية كصدى في قبر.  
لم يرد الضابطان.  
كانا يعرفان أن الكلام الآن لا ينفع، وأن السكوت أحياناً يكون  
أبقى على الرقاب.

## المشهد التاسع والخمسون

### مكتب عبد الحكيم الخيواني — تابع

تقدم أحد الضابطين خطوة. كان رجلاً قُبلياً في الخمسين، وجهه أسمر متجعد من سنوات في الميدان، وعيناه تحملان تعباً ليس جسدياً فقط، بل تعب الروح المخدولة. قال بصوت يرتجف، لكن لهجة صنعانية عسكرية قوية كانت تخرج من بين شفثيه المرتجفتين:

— يا فندم عبد الحكيم. الكلام الذي ينشره 'الخط الأحمر' بدأ يقرأوه العساكر في المربعات والمعسكرات عبر هواتفهم. تنهد بعمق:

— الجنود غاضبون ومقهورون. بالأمس استشهد زملائهم في ضربات مقرات الأمن والمخابرات، واليوم يرون مسلحي 'استخبارات الشرطة' التابعين لعلي حسين الحوئي يتجولون بأطقمهم الجديدة في الشوارع، ويهينون ضباطنا المحترفين، ويعتقلون الموظفين الدوليين ليصنعوا بطولات وهمية. نظر في عيني الخيواني، وتلك النظرة كانت تحمل شيئاً من التحدي المرير:

— عساكرنا يتضورون جوعاً بلا رواتب منذ شهور، بينما مشرفو العائلة يملكون الملايين ويشترون الأراضي والعقارات في حدة والروضة. ثم قال الجملة التي كان يعرف أنها ستغضب الخيواني، لكنه قالها رغماً عنه:

— الوضع محتقن يا فندم، والعساكر يشعرون أنهم مجرد حطب لحرب تحمي عروش آل الحوئي، بينما نحن قادة الجهاز يُنظر إلينا كخونة ومقصرين! صمت الخيواني.

كان يعرف أن كل كلمة قالها الضابط صحيحة.  
لكن المعرفة وحدها لا تبني مملكة.  
جلس مجددًا، ووضع رأسه بين يديه.  
لم يرد.  
كان أول مرة في حياته يعجز فيها عن الكلام.

## المشهد الستون

جولة "الرويشان" — شارع حدة الرئيسي — صنعاء  
الليل — الساعة العاشرة مساءً

كان شارع حدة في تلك الساعة يموج بالسيارات والمارة — رغم الحرب، رغم الحصار، رغم كل شيء، كانت صنعاء لا تزال تتنفس. أضواء النيون التجارية كانت تنعكس على زجاج السيارات المارة، والأسر كانت تسير ككل ليلة، تشتري حاجياتها، وتعود إلى بيوتها، وتتجاهل أن المدينة كانت تقف على فوهة بركان.

وفجأة.

توقف الزمن.

توقف طقمان عسكريان تابعان لـ "جهاز الأمن والمخابرات" — جناح الخيواني — فجأة بشكل عرضي في منتصف الشارع، وأغلقه بالكامل. الجنود قفزوا من الأطقم وبدأوا ينصبون حواجز سريعة.

لكن قبل أن يفهم المارة ما يحدث، اندفعت ثلاثة أطقم مموهة جديدة من الاتجاه المعاكس. كانت تحمل شعارًا مختلفًا: شعار "استخبارات الشرطة" — جناح علي حسين الحوئي.

توقفت الأطقم الجديدة أمام الأطقم الأولى.

نزل الجنود من الطرفين.

في ثوانٍ، كان عشرات المسلحين يواجهون بعضهم البعض في وسط الشارع المزدهم، وبنادق الكلاشينكوف كانت موجهة نحو صدور بعضهم البعض.

كان المارة يصرخون، يركضون، يختبئون في المحلات. أطفال يبكون، نساء يصرخن، رجال يحاولون حماية عائلاتهم.

صوت سحب أقسام البنادق كان كعاصفة جافة.  
صراخ عنيف يتبادل بين الطرفين.  
كانت صنعاء على وشك أن تأكل بعضها.

## المشهد الحادي والستون

### جولة الرويشان — تابع

وقف ملازم من طقم الخيواني في مقدمة جنده. كان رجلاً يمينياً قبلئاً، ملامحه متعبة، جبهته وسعتها الشمس، وعيناه تحملان تعب سنوات من الحرب التي لم يفهم سببها.

خرج من خلف سيارته، ووقف مباشرة أمام مشرف طقم علي حسين الحوئي. كان ذلك المشرف شاباً صغيراً، في العشرينات من عمره، لكنه كان يرتدي جعبة فاخرة وشعار السلالة فوق جبهته كتاج ملك.

رفع الملازم صوته، وكان صوته يخرج من أعماق القهر، الظلم، الاضطهاد البيئي الذي طالما عانى منه:

—ارجع للخلف أنت وأطقمك! هذا المربع أمني وتابع لجهاز الأمن والمخابرات بأمر من الفندم الخيواني!  
تقدم خطوة:

—ليس لكم حق المداهمة هنا أو اعتقال أي موظف من المنظمات!  
اهتاج صوته:

—أهنتونا في المعسكرات، وسرقتم مستحقات عساكرنا، واليوم تريدون أخذ مربعاتنا لتثبتوا لعلي حسين أنكم حكام المدينة؟

صرخ:

—والله ما نرجع خطوة واحدة!

أشار ببندقيته نحو الأرض:

—ودم الغماري وزملائنا الذين ماتوا في القصف عادهم في رقاب الخونة الذين بينكم!  
كان صوته يرتجف. لكن وقفته كانت صلبة.

كان يعرف أنه قد يموت في اللحظة التالية.  
لكنه قرر ألا يموت راکعًا.

## المشهد الثاني والستون

### جولة الرويشان — تابع

ابتسم المشرف السلالي الشاب.

كانت ابتسامته باردة، متعالية، ابتسامة من يرى نفسه ربًا  
والناس عبيدًا. كان يحمل في عينيه تلك الثقة الكهنوتية الفجة  
التي لا تنبع من قوة حقيقية، بل من وهم القداسة الذي  
غرسوه فيه منذ الصغر.

بصق على الأرض.

ثم رفع فوهة بندقيته مباشرة إلى جبهة الملازم اليمني.

قال بنبرة تتفجر كبرًا وطغيانًا:

— اسكت يا منافق!

تقدم خطوة:

— جهاك الفاشل المخترق هو من تسبب في مقتل القادة

والعلماء!

رفع صوته:

— سيدي علي حسين الحوثي لديه توجيهات مطلقة من

السيد القائد عبد الملك لتطهير صنعاء من الخلايا والمتريدين

والموالين للأحزاب والقبائل!

توقف للحظة، ثم قال الجملة التي ستحفر في ذاكرة كل من

سمعها:

— أنتم لستم إلا عساكر أجیرون في دولة المسيرة، والأرض

أرضنا، والأمر أمرنا.

همس، وكان همسه كسم في أذن الملازم:

— ومن يعترض طريق استخبارات الشرطة فحكمه حكم

الجاسوس الإسرائيلي!

صرخ فجأة:

—سَلِّمْ سلاحك وطقمك فورًا وإلا جعلت رأسك عبرة في هذا  
الشارع!  
ساد صمت ثقيل، سكون ما قبل الطلقة الأولى.  
كان الجميع يعرف أن هذه السكون لن تدوم.  
صنعاء كانت تنتظر.

المشهد الثالث والستون  
جولة الرويشان / حصن خولان — لقطة موازية — العاشرة  
والربع مساءً  
كانت الكاميرا — تتحرك الآن بسرعة بين المشهدين.  
في صنعاء:

كان إصبع المشرف السلالي يرتعش على الزناد.  
ثم — انطلقت الرصاصة الأولى.  
كان صوتها كالصاعقة التي مزقت صدر الليل. تبعتها رشقة  
كثيفة من الطرفين. الرصاص الخارق كان يرسم خطوطاً حمراء  
في الهواء المظلم، وشظايا الزجاج تتناثر من السيارات  
والمحلات، وأضواء الأتقم الحمراء والزرقاء تنعكس في برك  
الماء على الإسفلت.  
الناس كانوا يركضون في كل اتجاه. امرأة كانت تسحب طفلها  
البابي، ورجل عجوز سقط أرضاً وزحف تحت سيارة. صنعاء  
كانت تغرق في نار داخلية.

في خولان:  
كان وليد ونادية وسارة يراقبون عبر شاشة التتبع تدفق الأخبار  
العاجلة عن اندلاع اشتباكات مسلحة بين أجنحة المليشيا في  
قلب صنعاء.

كانت الشاشات تضيء بالتقارير المتتالية: "اشتباكات عنيفة في  
جولة الرويشان بين قوات الأمن والمخابرات واستخبارات  
الشرطة"، "سقوط قتلى وجرحى من الطرفين"، "حالة من  
الفوضى تعم شارع حدة".  
رفعت سارة رأسها نحو نافذة الحصن.  
كانت عيناها تفيضان بالأمل والمقاومة، ذلك الأمل الذي كان  
يبدو مستحيلاً قبل أيام.

كانت تدرك — بعمق لا تعلمه إلا من عانت — أن العمل  
الدؤوب قد بدأ يؤتي ثماره، وأن الكهنوت بدأ يأكل نفسه  
بنفسه.

همست لنفسها، وكان همسها كدعاء:  
— بدأت تاكلون بعضكم يا كهنة. أكملوا. اليمن تنتظر.

### صوت الراوي — الدكتور عبدالعالم العنسي

من زلزلاته المعتمدة، حيث كان يسمع من بعيد دوي الرصاص في شوارع صنعاء، بدأ عبدالعالم يتحدث. لم يكن صوته يخرج من حنجرتة فقط، بل من كل جرح في جسده، من كل دمعة في عينيه، من كل كلمة كتبها على حاسوبه القديم.

كان صوته ممتدًا، فخمًا، وقورًا، كصوت جبل ينهار. قال، وكلماته كانت تتساقط كالمطر على صخر:

— عندما يُبنى الحكم على خرافة العرق الواحد، وتُسرق لقمة المواطن لتُطعم كبرياء السلالة. يصبح الصراع الداخلي حتميًا كالموت.

تنفس بعمق:

— يتقاتلون الليلة في شوارع صنعاء، رصاص الجهل يرتد إلى صدورهم، والأجهزة الموازية التي صنعوها لقمعنا أصبحت المشانق التي يخنقون بها بعضهم بعضًا.

فتح عينيه، وكان ضوء القمر لا يزال يتسلل من فتحة التهوية: — اظلموا، واقتتلوا، وتآكلوا. فاليمن لا يقبل الغزاة من الخارج، ولن يحتمل الطغاة من الداخل.

همس، وكان صوته الأخير أعمق ما يكون:

— و'الخط الأحمر' سيظل يكتب، حتى يسقط آخر مشرف متكبر تحت أقدام الأحرار الباحثين عن الحرية.

## المشهد الحادي والتسعون غرفة التحكم السري لشبكة "الاتصالات الجهادية" التابعة للمليشيا — صنعاء — الساعة الثامنة مساءً

كانت الغرفة أشبه بدماع اصطناعي لأفعى عملاقة، تتشابك أسلاكه الملونة كأوردة سامة على الأرضية الإسمنتية الباردة. الخوادم الحاسوبية الضخمة كانت تصدر أزيزاً مستمراً، كأنين مريض في العناية المركزة، وإضاءة الشاشات الخضراء الباهتة كانت تنعكس على الجدران الخرسانية العارية، فتعطي المكان طابعاً أشبه بغرفة عمليات في غواصة نووية غارقة في أعماق مجهولة.

في وسط هذه الفوضى المنظمة، كان يجلس محمد حسين الحوثي — النجل الثالث للمؤسس، الشاب السلالي الذي دربه إيران على أيدي خبراءها في الحرب الرقمية. كان يرتدي بنطالاً عسكرياً أسود وقميصاً رمادياً بلا ياقة، ووجهه الجامد كقناع حجري لا تعبر عنه المشاعر. عيناه كانتا مثبتتان على شيفرات برمجية تتحرك على الشاشة كأنها كائنات حية تسعى للهروب، وأصابعه كانت تقرع لوحة التحكم بتوتر مكتوم، كطبيب قلب يحاول إنعاش مريض يوشك على الموت. كان طنين الخوادم المرتفع يمتزج بصدى بعيد لصفارات الإنذار الأمنية القادمة من شوارع المدينة — تلك الصفارات التي لم تتوقف منذ أيام، والتي صارت جزءاً من موسيقى صنعاء الليلية، كنداءات استغاثة من مدينة تغرق في فوضى لا تريدها.

كان محمد حسين يعلم أن هذه الليلة مختلفة. كانت شاشات المراقبة الخاصة به ترصد شيئاً لم يره من قبل: انتشاراً هائلاً لمنصة "الخط الأحمر" في هواتف العساكر

والضباط في كل معسكرات صنعاء. كانت الخريطة الرقمية  
أمامه تتوهج بالنقاط الحمراء كأنها جدرى أصابت جسد دولته  
الوهمية.  
تنهد بعمق.  
لم يكن يعلم أن شقيقه علي حسين كان في طريقه إليه، يحمل  
غضبًا لا يوصف، وانهيارًا لا يمكن إخفاؤه.

## المشهد الثاني والتسعون

### غرفة التحكم السري — تابع

انفتح باب الغرفة الحديدي فجأة، واندفع علي حسين الحوئي إلى الداخل كإعصار.

كان يرتدي جعبته العسكرية الفاخرة، لكن الغبار كان يغطي كتفيه — غبار المعركة التي خاضها قبل ساعات عند نقطة الأزرقين، حيث تراجع تحت وابل من الرصاص لم يكن يتوقعه من جنود كان يعتبرهم عبيدًا بالأمس.

كانت ملامحه متشنجة، وعينه تشعلان برغبة انتقام سلالية عمياء، تلك الرغبة التي لا ترى إلا الدم حلاً لكل مشكلة. وكانت أنفاسه متلاحقة، كمن ركض مسافات طويلة لا يريد أن يعترف بأنه هارب منها.

توجه نحو شقيقه محمد الذي لم يرفع عينيه عن الشاشة، وقال بصوت حاد، نبرته مخنوقة بالغضب المتوحش:

— يا محمد. أين أمنك الرقمي وشبكاتك المشفرة التي تدربت عليها في طهران؟

نظر حوله كمن يتهم الجدران:

' — الخط الأحمر' لم يعد مجرد موقع، إنه يخترق أجهزة العساكر والقبائل في ذات اللحظة التي نتحرك فيها بالميدان!

أشار بيده المرتجفة نحو الخارج:

— بسببه، أغلقت معسكرات الحصبة بواباتها في وجوهنا.

وضباط القبائل في نقطة الأزرقين تجرأوا وأطلقوا الرصاص على أطقم 'استخبارات الشرطة'!

تقدم نحو شقيقه، وصوته يرتفع:

— أحمد حامد وعبد الكريم يبذلون كل جهدهم لجعل قضية

المنظمات الدولية والموظفين الأمميين سورًا قصيرًا نلقي عليه

فشلنا الاستخباراتي ومقتل الغماري. ولكن هذا الموقع اللعين  
ينشر وثائق دمج الأجهزة الخمسة ويفضح سعيينا لحصر القرار  
في عائلتنا!  
صرخ فجأة:  
— اقطع شبكة الإنترنت عن صنعاء بالكامل! أريد صمًا رقميًا  
مطبّقًا!  
كان صوته يرتد من الجدران الخرسانية، ثم يموت في أزيز  
الخوادم.  
صمت علي حسين.  
انتظر رد شقيقه.

## المشهد الثالث والتسعون

### غرفة التحكم السري — تابع

رفع محمد حسين الحوئي رأسه ببطء.

كانت حركته كحركة من يستيقظ من غيبوبة، أو من يقرر أن يواجه حقيقة لم يكن مستعدًا لها. أدار كرسيه الدوار نحو شقيقه، وكانت عيناه الباردتان تلامسان عيون علي المتوردة بالغضب.

كانت الشاشة الخضراء تومض خلفهما، كأنها تتابع المشهد وتستعد لبثه.

قال محمد بصوته الخفيض والعميق، النبوة التي تشق صمت القبو الخرساني كما يشق المشروط الجلد:

—القطع الكامل للإنترنت يعني إعلان الهزيمة والاعتراف الرسمي بالفوضى أمام أتباعنا والعالم يا علي.  
وقف من كرسيه ببطء:

—أنا لا أواجه هوة. 'الخط الأحمر' يعتمد على خوادم افتراضية متصلة بإنترنت فضائي مستقل تمامًا عن بوابتنا الرسمية — "يمن نت".  
أشار إلى الشاشات:

—جهاز الرقمي يعمل بدأب لحظر الروابط، ولكن المشكلة ليست في التكنولوجيا.

توقف لحظة، ونظر في عيني شقيقه:

—المشكلة في القلوب التي فتحت لهم الأبواب وسريت تلك الوثائق الموقعة بيدك.

اقترب منه خطوة:

—عساكر القبائل يتلقون البيانات كأنها حبل نجاة من جوعهم وإقصائهم.

ثم قال الجملة التي جمدت دم علي حسين:  
— عمك عبد الملك في صعدة يعيش هاجسًا حقيقيًا. فالصراع  
لم يعد بيننا وبين عدو خارجي، الصراع بات داخل هرمنا الأمني  
الصرف.

همس، وكان همسه كصفير الرصاص قبل أن يصيب هدفه:  
— وإذا استمر هذا الاختراق، فإن المقصلة الرقمية لهؤلاء  
الثوار ستصل إلى رؤوسنا جميعًا قبل أن تصل بنادقهم!  
جلس مجددًا أمام شاشته، واستدار ظهره لشقيقه.  
كانت إشارة واضحة: انتهى النقاش.  
لكن علي حسين لم يكن رجلًا يفهم الإشارات.  
كان رجلًا يفهم الدم فقط.  
خرج من الغرفة يجر أذيال هزيمته، وعيناه تعدان بالانتقام.

## المشهد الرابع والتسعون

باحة مستوصف شعبي صغير — أطراف حي الحصبة —  
صنعاء — الساعة التاسعة والنصف مساءً

كانت باحة المستوصف أشبه ببقعة ضوء صغيرة في محيط من الظلام. فانوس كيروسين قديم كان معلقًا على وتد خشبي، يتأرجح مع كل نفَس من أنفاس الليل الباردة، فيرمي ظللاً متحركة على الجدران المتهالكة.

في زاوية الباحة، كانت تجلس الحاجة مريم، امرأة يمنية تجاوزت الستين، وجهها محفور بتجاعيد كخريطة لبلد عانى كثيرًا. كانت ترتدي رداءها الأسود التقليدي، وتضم إلى صدرها حفيدها الصغير الذي كان يبكي بحرارة، وجهه محمّر من الحمى، وجسده النحيل يرتجف كعصفور صغير في عاصفة.

خرج الطبيب المناوب — رجل في الأربعين، متعب، لا يملك حتى نظارة طبية مناسبة — ويدها فارغتان، فارغتان تمامًا. لا دواء في جيبه، لا أمبول في يده. كان وجهه يحمل علامات العجز والأسى، أسى من يرى الموت أمام عينيه ولا يملك حجرًا يرميه.

نظرت الحاجة مريم إليه، وكانت عيناها تذرفان دموعًا لم تجف منذ سنوات.

قالت بصوت متهدج، ممتد، كأنفاس تحتضر:

— يا دكتور. أسألك بالله وبمحمد، أليس هناك شربة خافض حرارة لهذا الطفل الصغير؟

زفرت:

— أخذوا والده للجبهة وعاد إلينا في صندوق خشب. واليوم حتى الدواء البسيط لا نجده في هذه العاصمة المخطوفة! أشارت بيدها المرتجفة نحو الشارع:

— مشرفوهم يمرون بأطقمهم الفاخرة التي تلمع، وبنوا  
القصور والمتاجر من عرقنا وقوتنا، ونحن نموت جوعًا  
ومرضًا!  
بكت:

— ويخرجون في الإذاعات ليقولوا إن المنظمات الدولية هي  
السبب لأنهم 'جواسيس'!  
صرخت فجأة، وكان صراخها كزلزال صغير هز أركان  
المستوصف:  
— كذبوا ورب الكعبة.

مسحت دموعها بكم رداؤها:  
— جارتني فاطمة أرتني في هاتفها كيف يتقاتلون في الشوارع  
كالكلاب المسعورة لأجل تدوير المناصب والحصص  
والسرقات، بينما أولادنا يموتون بلا ذنب!  
ثم قالت، وكان صوتها يعلو في آخره:  
— ظلم الكهنوت هذا شق صدورنا وأبكى جبال اليمن. ولكن  
عاد معنا رب كبير لن يضيع دموع هؤلاء الأطفال.  
ضممت حفيدها أكثر.  
كان الطفل لا يزال يبكي.  
وكان الطبيب لا يزال واقفًا، عاجزًا.

## المشهد الخامس والتسعون

### باحة المستوصف الشعبي — تابع

تقدم الطبيب خطوة نحو الحاجة مريم. كانت خطواته ثقيلة كمن يمشي على أرض من زجاج مكسور. جلس على كرسي بلاستيكي بجانبها، ووضع يده على رأس الطفل بحنان لم يكن يعرفه عن نفسه قبل الحرب. كانت يده ترتجف قليلاً — ليس من البرد، بل من الغضب المكبوت الذي لم يجد متنفساً له طوال سنوات. نظر في عيني الحاجة مريم، وكانت عيناه تشعان بمقاومة صامته، وأمل دؤوب ينبثق من وسط المعاناة كزهرة تنبت في صحراء محترقة.

قال بصوت قوي، حازم، يشق صدر الصمت واليأس:

— اصبري يا أمي واحتسبي.

رفع إصبعه كالوعظ:

— والله إن هذا الألم والوجع الذي يعتصر قلوبنا هو المشروط الذي يقطع حبال زيفهم كل يوم.

أشار نحو الخارج:

— لقد حولوا المنظمات الدولية إلى سور قصير ليلقوا عليه فشلهم الأمني وسرقاتهم لميزانية الصحة والإغاثة. ولكن عيون الناس تفتحت.

ابتسم ابتسامة حزينة:

— التصدع الذي ينشره الأحرار في 'الخط الأحمر' كشف المستور. عساكر القبائل بدأوا يرفضون توجيهات علي حسين الحوثي وأحمد حامد، والمعسكرات محتقنة بالغضب. ثم قال الجملة التي ستبقى في قلب الحاجة مريم إلى آخر يوم في عمرها:

— عملنا الدؤوب اليوم هو أن نصمد، وألا نبتلع أكاذيبهم.  
وقف ومد يده ليصافحها:  
— الحرية لَن تأتي هبة، بل تُنتزع انتزاعًا من بين أنياب هذا  
الاستبداد الكهنوتي.  
نظر إلى السماء الملبدة بالغيوم:  
— وفجر اليمن لَن يطول غيابه ما دام فينا عرق ينبض  
بالكرامة.  
أخذ الطفل بين ذراعيه، وبدأ يردد تميمة قديمة كانت جدته  
تردد لها في طفولته.  
كانت أول مرة في سنوات يعود فيها الأمل إلى هذا المستوصف  
الصغير.

المشهد السادس والتسعون  
حصن المقاومة في خولان — الغرفة الاستراتيجية  
المتقدمة — الليل متأخر — الساعة الحادية عشرة والرابع  
مساءً

كانت الغرفة الحجرية الآن قد تحولت إلى أشبه بغرفة عمليات حربية متكاملة. شاشات كبيرة معلقة على الجدران تعرض خرائط حرارية لصنعاء، تتوهج باللون البرتقالي والأحمر في المناطق التي تشهد توترات واشتباكات.

في وسط الغرفة، كان الرائد سلطان المطري يقف أمام الخريطة الرئيسية، وذراعه متقاطعتان على صدره، وعينه تراقبان تحركات النقاط العسكرية على الشاشة كمن يتابع قطعة شطرنج يتقن لعبتها منذ الطفولة.

إلى جانبه، كان وليد يجلس على كرسي دوار، سماعات الرأس تغطي أذنيه، وعينه مثبتتان على شاشة حاسوبه التي تعرض موجات لاسلكية مخترقة تابعة لـ "جهاز أمن الثورة" و"الاستخبارات العسكرية". كانت أصابعه تضرب المفاتيح بسرعة، كعازف بيانو يعزف سيمفونية من الأصفار والواحدات.

في زاوية الغرفة، كانت نادية تدون تقارير الانشقاقات داخل وزارة داخلية المليشيا — أسماء ضباط أعلنوا رفضهم، وحدات عسكرية أغلقت بواباتها في وجه أوامر القيادة. وكانت سارة تقف بجانبها، عينها ممتلئتان بالأمل والمقاومة الدؤوبة.

فجأة، التفت وليد بسرعة.

كانت عيناه تشعان بشيء لم يره فيه رفاقه من قبل: نور الانتصار.

قال ونبرته تتفجر بالتشويق والثورة:

—يا سلطان، يا نادية!

رفع سماعات الرأس:

—محمد حسين الحوثي يحاول الآن عبر أدواته الرقمية في  
'الاتصالات الجهادية' عزل المربعات الأمنية في صنعاء وحظر  
منصتنا.

ابتسم ابتسامة عريضة:

—ولكنه عاجز!

أشار إلى شاشته:

—ضباط معسكر النجدة أرسلوا لنا عبر القنوات المشفرة  
بيئاً يعلنون فيه رفضهم المطلق لقرار الدمج والهيكلية  
السلالية التي يقودها علي حسين!  
وقف من كرسيه بحماس:

—الصراع بين ذراع العائلة والأذرع القبلية لأبي علي الحاكم  
والخيواني وصل إلى نقطة اللاعودة بفضل بثنا الأخير!  
صاح:

—لقد بدأوا يأكلون بعضهم يا رفاق!

## المشهد السابع والتسعون

### حصن المقاومة — تابع

وقفت نادية من مكانها.

كانت حركتها بطيئة، واعية، كمن ينهض لإلقاء خطاب تاريخي. مشت نحو الطاولة الرئيسية، ووضعت يدها عليها بثبات، ونظرت في عيون الجميع واحدًا واحدًا.

كانت عيناها تشعان بثقة الحق والوعي الاستراتيجي لانتزاع الحرية، ذلك الوعي الذي لا يُكتسب من الكتب فقط، بل من دماء الشهداء ودموع الأرامل وجوع الأطفال.

قالت بنبهة سينمائية طويلة وممتدة، تحمل ثقل التضحية التي لا تُقدَّر بثمن:

— هذا هو التوقيت المناسب لتوجيه الضربة القاضية لرواية أحمد حامد يا سلطان.

أشارت إلى الملفات المتناثرة أمامها:

— حاولوا استخدام موظفي الأمم المتحدة كرهائن لرفع الحرج عن أنفسهم بعد الضربات الجوية الفادحة ومقتل الغماري، ونشروا اعترافات تحت الإكراه والتعذيب. رفعت صوتها قليلًا:

— بثنا القادم عبر 'الخط الأحمر' سيتضمن شهادات حية ومسجلة من داخل أروقة المخابرات لضباط يمينيين رفضوا تزوير التهم للموظفين الدوليين.

ثم قالت الجملة التي كانت ملخص كل شيء:

— سنعطي كل يمني مكوم وثائر مشرطه القانوني ليُشرَح به هذا الاستبداد.

توقفت للحظة، ثم همست:

— لن نختصر الكلمات، ولن نبتر العواطف.

رفعت رأسها:

—دماء شهدائنا وتضحية الدكتور عبدالعالم القدسي في  
زنازينهم هي وقود هذا العمل الدؤوب الذي لن يتوقف حتى  
ينكسر القيد.  
جلس الجميع صامتين.  
كانوا يعرفون أن هذه اللحظة هي لحظة الحقيقة.

## المشهد الثامن والتسعون

### حصن المقاومة — تابع

ابتسم الرائد سلطان المطري.

كانت ابتسامته عسكرية، صارمة، لكنها كانت تحمل في طياتها شيئاً من الفرح — ذلك الفرح النادر الذي لا يظهر إلا عند من قضى عمره في الظلام ورأى فجأة بصيص نور. وقف من مكانه، وتقدم نحو الخريطة. وضع يده مباشرة على مركز القيادة في صنعاء — قلب العاصمة، حيث كانت تتمركز قيادات المليشيا.

قال بصوت حازم، يهز الوجدان:

— أحسنت يا نادية.

التفت إليها:

— الرفض الشعبي والسياسي لاستنساخ نموذج إيران أصبح اليوم مدعوماً بقوة السلاح من داخل معسكراتهم نفسها. أشار إلى الخريطة:

— تدوير المناصب وتقاسم الحصص الذي كان يلجأ إليه زعيمهم عبد الملك الحوثي لامتنعاص التوتر الداخلي فشل بالكامل هذه المرة. بدأ يعد على أصابعه:

— الأجهزة الخمسة المتصارعة — الأمن الوقائي، استخبارات الشرطة، الأمن والمخابرات، أمن الثورة، والاستخبارات العسكرية — باتت عبارة عن حقول ألغام تنفجر تحت أقدامهم.

ثم قال بحزم:

— انشروا الشهادات فوراً. واجعلوا ليل الطغاة في صنعاء يشتعل بنور الحقيقة الكاشفة.

جلس وليد أمام حاسوبه، وبدأ يضغط المفاتيح.  
كانت أصابعه ترتجف — هذه المرة ليس خوفاً، بل حماسة.  
نظرت سارة إلى نادية، وإلى الرائد، ثم إلى السماء من نافذة  
الحصن.  
كانت تهمس بشيء لا يسمعه أحد:  
— عمي عبدالعالم... انتظر قليلاً. نحن قادمون.

## المشهد التاسع والتسعون

زنزانة الدكتور عبدالعالم القدسي — صنعاء / شاشات البث  
المضيئة في خولان — الوقت متأخر جدًا — منتصف الليل  
كانت الزنزانة معتمة.

لكن الظلام لم يعد مخيفًا كما كان. كان الدكتور عبدالعالم  
القدسي يجلس على الأرض الإسمنتية الباردة، قيوده الحديدية  
لا تزال تنهش رسغيه، لكنه كان جالسًا بشموخ لم يعرفه  
السجانون من قبل. كان شموخ من يرى النصر. قبل أن يأتي،  
شموخ من يعلم أن جسده قد يُسجن، لكن فكره قد تحرر إلى  
الأبد.

من الممر الخارجي، كان يصل إلى مسامعه صوت لاسلكي تركه  
الحراس المرعوبون وهم يتابعون الفضيحة الجديدة. كان  
الصوت يبث تفاصيل تراجع أطقم علي حسين الحوثي، وتمرد  
الضباط في معسكر النجدة، وقطع القبائل للطرق. كان  
الحراس أنفسهم — أولئك الذين كانوا بالأمس يتفاخرون  
بقدرتهم على تعذيب المعتقلين — يهمسون الآن بذعر: "لقد  
انتهى أمرنا... القبائل على الأبواب... 'الخط الأحمر' سيقتلنا  
كلنا."

ابتسم عبدالعالم.

ابتسامته كانت عميقة، حزينة، فرحة، كلها دفعة واحدة.  
رفع رأسه نحو فتحة التهوية الصغيرة، حيث كان ضوء القمر  
يتسلل كرسول من عالم الحرية.

همس، وكان صوته الداخلي كصوت جبل ينهار فرحًا:  
— لقد بدأت تأكلون بعضكم يا كهنة. أكملوا.

أغمض عينيه:

— اليمين تنتظر.

في خولان، كان وليد يضغط على زر "النشر العام الشامل".  
تومضت الشاشات باللون الأحمر الداكن.  
ثم بدأت الشهادات المسربة تخترق شبكات الاتصالات  
الحوثية في صنعاء وإب والحديدة وذمار وتعز وعمران، كأنها  
سيول تجرف كل شيء في طريقها.  
كانت الشهادات تحمل أسماء حقيقية، توقيعات، تواريخ،  
أوامر مباشرة من علي حسين الحوثي وأحمد حامد.  
كانت تحمل كل شيء.

**صوت الراوي — الدكتور عبدالعالم العنسي**  
من زلزانتة، حيث كانت خيوط القمر ترسم ظلالاً على وجهه  
المدى، بدأ عبدالعالم يتحدث.  
كان صوته ممتدًا، فخماً، وقوًراً. كصوت جبل لا يهزم، أو نهر لا  
يجف.  
قال:

— حين يظن الطغاة أنهم ملكوا الأثير والشبكات بأمنهم  
الرقمي المستورد، يأتيهم صوت الأحرار من بين شقوق  
جدرانهم العتيقة.  
تنفس بعمق:  
— يتخبطون الليلة في أقبية التحكم، وعلي حسين يرى عروش  
عائلته المتغطرة وهي تتآكل بفعل وثائق قمعهم وسرقاتهم.  
فتح عينيه:

— المنظمات لن تكون سورهم القصير بعد اليوم.  
والاعترافات المنتزعة تحت الإكراه ذوبتها حقيقة الكلمة الحرة.  
ثم قال بصوت ارتفع قليلاً:  
— اقطعوا الإنترنت أو صبوا رصاص جهلكم في الشوارع كما  
شئتم.  
توقف للحظة:

— ففي يمن الصمود والمقاومة قد بدأ عمله الدؤوب لانتزاع  
الحرية.  
همس، وكان همسه كدعاء:

— وفجر الخلاص تشرق شمس من قلب هذا الوجع.  
ثم قال الجملة الأخيرة:  
— والخط الأحمر سيظل يكتب بدم الكرامة حتى تسقط  
أوهام الكهنوت السلالي إلى الأبد.

"قطع سريع ومفاجئ إلى اللون الأسود الشديد"  
"يتبع في الفصل الثاني من الحلقة الثالثة: "طوق القبائل""

## الفصل الثاني: طوق القبائل

---

### المشهد المائة

مدخل قبيلة "بني حشيش" — خطوط الإمداد الشرقية  
لصنعاء — الليل متأخر — الساعة الثانية عشرة والنصف

### بعد منتصف الليل

كانت أشجار العنب المظلمة تلتف حول السفوح الجبلية كحراس صامتين، وأوراقها تهمس بأسرار الليل لمن يريد أن يسمع. على الطريق الإسفلتي الذي يربط صنعاء بمحافظات الشرق، كانت كتل صخرية ضخمة وجذوع أشجار مقطوعة قد وضعت لقطع الطريق تمامًا. لم يكن هذا عملاً عشوائياً، بل كان تخطيطاً قبلياً محكماً، نفذته أيادٍ تعرف معنى الكرامة أكثر من معنى الخوف.

رجال القبائل، بملابسهم اليمينية التقليدية — الثياب البيضاء الطويلة، والجُعب الممتلئة بالذخيرة، والخناجر الفضية التي تتوسط أحزمتهم — كانوا يقفون متأهبين خلف متارس حجرية مستحدثة. كانت وجوههم السمراء الملوحة بالوجع والكرامة تضيء بنور شاشات هواتفهم، حيث كانوا يتابعون البث الجديد لـ "الخط الأحمر" الذي كان ينساب كالنار في الهشيم.

كانت أصابعهم تداعب شاشات الهواتف بحنان من يلمس شيئاً أثنى من السلاح: الحقيقة.

عواء الذئاب البعيدة في الجبال كان يمتزج بحفيف أوراق  
الشجر مع الرياح الباردة، وصوت نقرات الرصاص أثناء تعبئة  
المخازن — الخزانات — كان كإيقاع حرب لم تبدأ بعد، لكن  
الجميع يعرف أنها قادمة.

## المشهد المائة والأول

### مدخل قبيلة بني حشيش — تابع

تقدم الشيخ صالح الحشيشي إلى مقدمة المتاريس.

كان رجلاً في الخامسة والخمسين، ممتلئ الجسم، كث اللحية البيضاء، وعينه تشعلان بنيران القهر والتضحية. كان قد فقد اثنين من أبنائه في محارق السلالة — أحدهما في جبهة ميدي، والآخر في الضالع. وكانت صورهما تتصدر شاشة هاتفه كخلفية دائمة، تذكير دائم بما لا يُنسى.

كان يمسك بجهازه اللاسلكي القبلي بيده اليمنى، وببندقيته الآلية بيده اليسرى. وقف على ارتفاع مرتفع قليلاً، والتفت إلى رجال القبيلة المحيطين به.

كان صوته جهوريًا، ممتدًا، سينمائيًا، يشق صدر الصمت المطبق:

— اسمعوا يا رجال.

رفع هاتفه عاليًا:

— اقرأوا ما بثه الأحرار في 'الخط الأحمر' الليلة!

توقف ليترك الكلمات تستقر:

— هذا هو التقرير السري المسرب بصوت ضباط أحرار من

قلب جهازهم المظلم!

بدأ صوته يرتفع:

— أحمد حامد وعبد الكريم الحوثي وعلي حسين جعلوا من

أولادنا حطبًا لحربهم، وبنوا بدمائنا إمبراطوريات تجارية

وأخذوا الأراضي في صنعاء وإب والحديدة وذمار!

أشار ببندقيته نحو صنعاء:

— والآن... يريدون سحق معسكر النجدة وإقصاء ضباط

القبائل ليمكّنوا لعائلتهم الصغير السلالية في صعدة!

صرخ فجأة:

— جعلوا من المنظمات الدولية وموظفي الإغاثة الأبرياء سورًا  
قصيرًا ليغطوا على فشلهم ومقتل محمد الغماري، ويريدون منا  
أن نظل عميًّا نتبع خرافاتهم!

ثم قال الجملة التي جعلت الجميع يهتفون:  
— والله لَن تمر أطقم 'استخبارات الشرطة' من أرضنا لدعم  
عائلة الحوئي المتوحشة في صنعاء!  
رفع بندقيته عاليًا:

— وخطوط الإمداد مقطوعة من الليلة حتى يستعيد اليمن  
كرامته وحرية!  
هتف رجال القبيلة:  
— الله أكبر! الله أكبر!

كان صوتهم يتردد في الجبال كرعد بعيد.  
كانت صنعاء تسمعهم.  
وكان الخوف يبدأ يتسلل إلى قلوب الطغاة.

## المشهد المائة والثاني

ديوان "عبد الحكيم الخيواني" — مخبأ سري — صنعاء  
الفجر الباكر — الساعة الثانية صباحًا

كان الديوان مختلفًا تمامًا عما كان عليه قبل أشهر.  
لم يعد هناك سجاد إيراني، ولا ثريات فاخرة، ولا كراسي  
جلدية. كان المكان الآن عبارة عن مخبأ إسمنتي بارد، مضاء  
بشمعة وحيدة تعكس حالة الشلل والتراجع التي أصابت  
صاحبه.

كانت الشمعة تذوب ببطء، كأنها تذيب معها ما تبقى من  
أحلام الخيواني في السلطة.

يجلس عبد الحكيم الخيواني الآن على كرسي حديدي بسيط،  
ظهره منحني، عيناه الغائرتان تحدقان في تقرير أمني عاجل  
يوضح قطع القبائل للطرق الشمالية والشرقية.  
كان وجهه شاحبًا، ولحيته غير مهتم بها منذ أيام.

يقف أمامه جعفر المرهبي — قائد أمن الثورة — وهو يمسك  
بمشط كلاشينكوف، وملامحه يملؤها الذعر والخوف من  
السقوط الوشيك. كان يرتدي بزة عسكرية ممزقة من الكتف،  
وكانها تمزق معها ما تبقى من هيبته.

رفع الخيواني رأسه بصعوبة، كمن يرفع جبلًا عن كتفيه.  
قال بنبرة منكسرة، خافتة، تحمل حقد الأجنحة المتصارعة:  
— يا مرهبي.

تنهد بعمق:

— الشهادات الحية التي نشرها 'الخط الأحمر' الليلة كانت  
المسمار الأخير في نعش خطة الهيكلية والدمج.  
أشار إلى التقرير:

—الضباط في وزارة الداخلية ومعسكر النجدة أعلنوا التمرد الكامل. وبني حشيش وهمدان قطعوا خطوط الإمداد لمنع أطقم علي حسين الحوثي من مداهمة منازل ضباطنا. وقف فجأة، وبدأ يمشي في الغرفة كأسير في قفص: —أحمد حامد وعائلته ظنوا أن مسرحية اتهام المنظمات الدولية وتلفيق الاعترافات تحت الإكراه سترفع عنهم الحرج وتخفي فشلنا الاستخباراتي بعد الضربات الجوية الخمس. توقف، ونظر في عيني المرهبي: —ولكن السحر انقلب على الساحر! رفع صوته: —القبائل عرفت أن الصراع عائلي صرف للاستحواذ على الأمن والمال. ثم قال الجملة التي كانت تعني انهيار كل شيء: —ونحن الآن بين فكي كماشة: تمرد القبائل من جهة، وبطش أجهزة عائلة الحوثي الموازية من جهة أخرى. جلس مجددًا، ووضع رأسه بين يديه. كانت الشمعة لا تزال تذوب.

## المشهد المائة والثالث

### ديوان الخيواني — تابع

تراجع جعفر المرهبي خطوة إلى الخلف.

كانت خطوته تعبر عن رغبة في الهروب — من المكان، من المسؤولية، من الحقيقة. لكن لم يكن هناك مكان يهرب إليه. كانت صنعاء محاصرة، والقبائل على الأبواب، والموت يطل من كل زاوية.

كانت علامات الانهيار النفسي- واضحة على تقاطيع وجهه المتشنج. عيناه كانتا تلمعان بوهج غريب، كمن يرى شبح الموت لأول مرة في حياته.

قال بصوت يرتجف، ممتد، مليء بالتوجس الاستراتيجي:

— يا فندم عبد الحكيم.

ابتلع ريقه:

— زعيم الجماعة عبد الملك الحوثي اتصل بي شخصيًا قبل قليل من خندقه في صعدة.

رفع عينيه نحو الخيواني:

— كان صوته يرتعد... هاجسًا... وخوفًا!

تقدم خطوة:

— قال لي إن الرفض الشعبي والسياسي لاستنساخ نموذج إيران تحول الليلة إلى طوق مسلح يلتف حول عنق عائلته في صنعاء.

همس:

— أحمد حامد لم يعد قادرًا على المناورة والتوفيق بين الأجنحة عبر تدوير المناصب وتقاسم الحصص. والمصالح الكبيرة التي تشكلت مهددة بالزوال. ثم قال الجملة التي جمدت دم الخيواني:

—السيد أمر بتجميد قرار دمج الأجهزة الخمسة مؤقتًا، خوفًا من الصدام العنيف الشامل الذي قد يقتلع المسيرة القرآنية من جذورها.

صمت لحظة، ثم همس:

—إنهم يتراجعون يا فندم.

رفع صوته قليلاً:

—التراجع كلفهم الكثير. والوثائق الرقمية للشوار سحقت

كبرياءهم.

جلس الخيواني صامتًا.

لم يعلق.

كان يعلم أن النهاية قريبة.

لم يكن يعلم أنها أقرب مما يتصور.

## المشهد المائة والرابع

زقاق مظلم في "حي الجراف" — معقل المليشيا — صنعاء  
الفجر — الساعة الثالثة والنصف صباحاً

كان حي الجراف يختلف عن بقية أحياء صنعاء. كان معقل المليشيا الأول في العاصمة، حيث كانت تتمركز قياداتها، وحيث كانت تبدأ جميع حملات القمع والمداهمة. كان الحي محصناً بأكثر من نقطة تفتيش، وجدرانه كانت تعلوها صور الشهداء السلايين وقادة المليشيا. لكن الليلة، كان الحي مختلفاً.

كانت الأمطار الخفيفة تتساقط، وكانت أضواء الأتقم العسكرية الفارة تنعكس في برك المياه. أطقم "استخبارات الشرطة" كانت تنسحب بسرعة نحو المقرات المغلقة، مخلقة وراءها هياكل حديدية محترقة وصناديق ذخيرة فارغة. المسلحون السلايون الذين كانوا بالأمس يتجولون في الشوارع بكل تكبر واستعلاء، كانوا اليوم يهرعون كالفران، وجوههم شاحبة، وأعينهم تبحث عن مخبأ لا وجود له.

فتحت إحدى النساء باب منزلها الخشبي ببطء. كانت أم يحيى — المرأة التي هُتكت أُستار بيتها قبل أسابيع على يد الزينبيات، والتي صمدت رغم كل شيء. كانت ترتدي رداءها الأسود البسيط، وكان وجهها ينطق بكرامة لم يستطع الكهنوت انتزاعها.

وقفت على عتبة بابها، تتأمل انسحاب الأتقم. كانت عيناها تشعان ببريق الأمل والمقاومة — ذلك البريق الذي لا يموت، ولا يمكن لأي سجان أن يطفئه. التفتت إلى داخل البيت، حيث كان أولادها نياماً، وكان زوجها لا يزال في زنزانة الأمن والمخابرات.

قالت بصوت سينمائي مليء بالقوة والانتصار، تتحدث كمن تخاطب التاريخ:

—انظروا يا أولادي. انظروا كيف يهرب طغاة صعدة في عتمة الفجر بأطقمهم الفاخرة.  
ابتسمت ابتسامة حزينة:

—بالأمس داهموا بيوتنا بكل تكبر وظلم، واختطفوا جيراننا وموظفي المنظمات لجعلوهم سورًا قصيرًا لفشلهم، وتفاخروا بأن اختراقهم لن يكون سهلاً.  
رفعت يدها نحو السماء:

—والآن... رصاص أحرار القبائل وعساكر النجدة يلاحقهم في الأزرقين والرويشان.  
همست:

—والكلمة الحرة في هواتفهم زلزلت أركان جدرانهم العتيقة.  
ثم قالت بصوت ارتفع قليلاً:

—هذا الألم والمعاناة والتضحية التي عشناها لسنوات لن تذهب سدى.

رفعت رأسها عاليًا:

—العمل الدؤوب لانتزاع الحرية بدأ يثمر. والكهنوت الكاذب ينهار بفعل جشعهم وصراعهم على السرقات!  
أغلقت الباب بهدوء.

لكن هدوءها كان أعلى من أي صراخ.

## المشهد المائة والخامس

حصن المقاومة في خولان — الغرفة الاستراتيجية الكبرى  
الفجر — الساعة الرابعة والربع صباحًا  
كانت الغرفة تعج بالحركة والنشاط.

وليد كان يقف أمام شاشات التتبع، يشير إلى النقاط الحمراء التي كانت تتراجع بسرعة على الخريطة. كان وجهه ممتلئًا بالنشاط والزهو الرقمي، وكأنه اكتشف أداة سحرية قادرة على قلب موازين القوى.

كان يتابع تراجع أطقم "استخبارات الشرطة" وإغلاق القبائل لجميع مداخل العاصمة الشمالية والشرقية. كانت الشاشات تومض باللون الأخضر في المناطق التي سيطر عليها الأحرار، والأحمر في المناطق التي كانت المليشيا تفقد السيطرة عليها بسرعة.

نادية كانت تبسم بدموع الفرح والمقاومة — دموع لم تكن تخجل منها، بل كانت تظهرها كدليل على أن القلب لم يمت بعد.

والرائد سلطان المطري كان يضع يده فوق لوحة التحكم بثبات وثقة، كقائد سفينة في عاصفة بدأت تهدأ. أما سارة، فكانت تقف عند النافذة الحجرية، تنظر إلى السماء المتغيرة.

كانت عيناها تشعان بالأمل والتضحية، ويدها اليمنى كانت تضغط على الفلاش ميموري الصغير — فلاش عمها عبدالعالم — الذي كان لا يزال معها، كتعويذة لا تفارقها. فجأة، صاح وليد:

— يا رفاق!

التفت إليهم:

— انتصرت الحقيقة!  
أشار إلى الشاشات:  
— تراجع كامل لأطقم علي حسين الحوئي من جولة الرويشان  
وشوارع حدة!  
تابع بحماس:  
— القبائل قطعت خطوط الإمداد بالكامل في بني حشيش  
وهمدان وعمران!  
رفع صوته:  
— وعبد الملك الحوئي أصدر توجيهًا عاجلاً بتجميد دمج  
الأجهزة الخمسة خوفًا من الانهيار الأمني الشامل!  
ثم قال الجملة التي لخصت كل شيء:  
— الفضيحة الاستخباراتية التي حاول أحمد حامد وعبد  
الكريم تغطيتها بسجن موظفي الأمم المتحدة والاعترافات  
المنترزة تحت الإكراه أصبحت المقصلة التي تخنق روايتهم  
الكاذبة!  
وقف الجميع صامتين للحظة.  
كانت تلك اللحظة هي لحظة الصمت التي تسبق العاصفة —  
أو لحظة الصمت التي تلي النصر.  
لكنهم كانوا يعرفون أن المعركة لم تنته بعد.  
كانت بداية النهاية فقط.

## المشهد المائة والسادس

### حصن المقاومة — تابع

وقفت نادية من مكانها، وتوجهت نحو الخريطة الجغرافية لليمن التي بدأت تخلع رداء الكهنوت الأسود — قطعة قطعة، محافظة بعد محافظة.

كانت الخريطة مضاءة بأضواء خافتة، لكنها كانت تظهر شيئاً لم يره أحد من قبل: مناطق واسعة كانت قد تحررت من سيطرة المليشيا، ليس بالسلاح فقط، بل بالوعي والكلمة والرفض الشعبي.

وقفت نادية أمام الخريطة، وبدأت تتحدث. كان صوتها قوياً، حاداً، يحمل ثقة الأحرار الذين لا يخشون الموت لأنه أصبح صديقهم القديم:

— هذا هو ثقلنا الاستراتيجي الذي حافظنا عليه دون استعجال يا وليد.

نظرت إليه:

— لم نبتز العواطف، ولم نختصر الكلمات. بل منحنا كل شخصية يمنية مكومة وثائرة مشروطها لتُشرح به هذا الطغيان السلالي الفج.

أشارت إلى الخريطة:

— صراع الأجنحة المخبرانية بين الخيواني وعلي حسين بلغ ذروته واصطدم بصخرة الوعي الشعبي والقبلي الرافض لاستنساخ نموذج طهران.

ثم قالت، وكان صوتها يعلو:

— تضحية الدكتور عبدالعالم القدسي وصموده في زنازينهم أثمرت فجراً جديداً يشرق من قلب المعاناة. رفعت رأسها:

— عملنا الدؤوب لانتزاع الحرية لن يتوقف هنا.  
نظرت نحو السماء:  
— وسنستمر في بث الحقائق وتفكيك أجهزتهم الموازية  
والوقائية حتى تتحرر صنعاء بالكامل!  
صفق وليد.  
كانت تصفيقته تتردد في الغرفة الحجرية كأنها نشيد النصر.

## المشهد المائة والسابع

### حصن المقاومة — تابع

التفت الرائد سلطان المطري نحو الكاميرا — أو نحو من يتابع، نحو التاريخ.

كانت ملامحه العسكرية الصارمة والواثقة تبرز تحت الإضاءة الخافتة. وضع يده على كتف وليد، كأب يبارك ابنه قبل معركة مصيرية.

قال بنبرة حازمة تهز الوجدان:

— نعم يا نادية. لقد أثبتنا أن القوة ليست في الأطقم المصفحة ولا في أجهزة القمع المستوردة.

رفع إصبعه: القوة في الكلمة الحرة والوعي الاستراتيجي.

تقدم خطوة: تدوير المناصب وتقاسم الحصص لن ينقذ هرم المليشيا بعد اليوم. وشلل سلطتهم المتعفنة بفسادها أصبح علنيًا أمام جنودهم أنفسهم.

ثم قال، وكان صوته يخطو المستقبل:

— الخطوة القادمة هي التنسيق المباشر مع الضباط الأحرار داخل معسكر النجدة والقبائل لبناء طوق وطني يحمي المواطنين ويستعيد مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية من قبضة أحمد حامد ولجنته الاقتصادية المحتكرة.

همس، وكان همسه أقوى من أي صيحة:

— النصر يولد من رحم التضحية والأمل الدؤوب.

نظرت سارة إلى الفلاش في يدها.

ثم إلى السماء من النافذة. كان الفجر يتسلل ببطء. كانت شمس جديدة على وشك أن تشرق فوق اليمن.

## المشهد المائة والثامن

زنزانة الدكتور عبدالعالم القدسي — صنعاء / أفق خولان  
المتوهج

شروق الشمس — الساعة الخامسة والنصف صباحًا  
كانت الزنزانة لا تزال كما هي: جدران رطبة، سقف منخفض،  
رائحة الدم والرطوبة والملح الجاف.  
لكن شيئًا تغير.

كان الدكتور عبدالعالم القدسي يقف الآن.  
بعد أسابيع من الجلوس على الأرض الباردة، بعد أسابيع من  
القيود التي أنهكت معصميه، بعد أسابيع من التعذيب الذي  
ترك جسده ندوبًا لا تندمل، كان عبدالعالم واقفًا.  
كان يقف عند نافذة زنزانه الصغيرة — تلك النافذة التي لا  
يتسع إطارها إلا لوجه طفل — وكانت خيوط شمس الشروق  
الذهبية تضرب وجهه المتعب والمليء بالجراح.  
كان وجهه متعبًا، جدًّا متعب.  
لكنه كان يبتسم.

ابتسامته كانت شموخًا، وعزة، وثقة تامة بانتصار الحرية.  
كان يسمع من بعيد أصوات حراس الزنزانة في الممرات  
الخارجية، وهم يتحدثون بذعر عن تراجع أطقم علي حسين  
الحوثي، وعن تمرد القبائل، وعن اقتراب الأحرار من أسوار  
السجن.

كانت أصواتهم ترتجف.  
أصوات الجلادين الذين أصبحوا فجأة خائفين.  
أغمض عبدالعالم عينيه، واستنشق الهواء البارد القادم من  
النافذة.

كان الهواء يحمل رائحة المطر — لا، رائحة الحرية.

في خولان، كانت شمس الحرية تشرق فوق جبال خولان  
وصنعاء، تتبدد الضباب والظلام الكهنوي، معلنة انتهاء ليل  
الطغيان وبداية عهد جديد يكتبه الأحرار بدمائهم وعملهم  
الدؤوب.

وقفت سارة عند نافذة الحصن، تنظر إلى الأفق.  
كانت عيناها تذرفان دموعًا — لا حزنًا، بل فرحًا.  
همست:

— عمي عبدالعالم... سأراك قريبًا.

**صوت الراوي — الدكتور عبدالعالم العنسي**

من نافذة زنزانته، حيث كانت الشمس تلامس وجهه كأم  
حنونة، بدأ عبدالعالم يتحدث.  
كان صوته فخماً، وقوَّراً، يشق صدر الصمت ويهز الوجدان.  
قال:

— حين تتحد سواعد الأحرار، وتتحرك الكلمة الصادقة  
كمشروط في جسد الاستبداد، تنهار عروش الكهنوت السلافي  
ولو تحصنت بألف جهاز موازٍ وقمعي.  
تنفس بعمق:

— حاولوا جعل الأبرياء والمنظمات سورًا قصيرًا لفشلهم  
الاستخباراتي ومقتل عقولهم العسكرية، فجاءهم الرد زلزالاً من  
صدور القبائل والضباط المقهورين في معسكر النجدة وجولة  
الرويشان والأزرقين.  
رفع رأسه نحو السماء:

— تراجعوا الليلة مرعوبين، وعلي حسين يرى طموحه العائلي  
يتلاشى أمام وعي وصمود يمن الكرامة والتضحية.  
ثم قال، وكان صوته يرتفع كالنشيد:  
— اظلموا ما شئتم، واحبسوا جسدي في زنازينكم.

ابتسم:

—فالحرية قد ولدت، والعمل الدؤوب لانتزاع الحرية لن يتوقف.

همس:

—والخط الأحمر سيظل يكتب بمداد الشرف والكرامة حتى ترفرف راية الجمهورية فوق كل شبر من أرضنا الغالية.  
رفع صوته:

—والى الأبد!

**أحذية فوق الدولة**

**المشهد الحادي والثمانون بعد المائة**

**مبنى وزارة السياحة — صنعاء — مكتب الوزير  
النهار**

كان المكتب في يوم من الأيام يعكس هيبة الدولة التي لم تكن. اليوم، كان المكتب يشبه جثة حية: الأثاث الخشبي الكلاسيكي لا يزال في مكانه، لكنه كان مغطى بمسحة خفيفة من الغبار الذي لا يزاح، غبار الإهمال الذي تسلط على مفاصل الحكم. صور قديمة لمعالم اليمن السياحية — عرش بلقيس الأسطوري، ودار الحجر الشامخ، وسد مأرب العريق — كانت معلقة على الجدران، لكنها كانت مائلة قليلاً، كمن يحاول الانحناء قبل أن يسقط.

وعلى الصدر الرئيسي للمكتب، حيث كان يعلو علم الجمهورية ذات يوم، كانت صورة ضخمة ومؤطرة لزعيم المليشيا قد فُرضت قسراً. كانت الصورة تنظر إلى كل من يدخل المكتب بعيون تهدد، تذكرهم بأن السيادة لم تعد للوطن، بل لـ "السيد" الذي لا يرى.

على كرسي الوزير، كان يجلس **منصور اليافعي**، رجل في أواخر الخمسينيات، كان يرتدي بدلة رسمية أنيقة — ربما آخر بدلة جيدة يملكها. لكن البدلة كانت واسعة عليه بشكل ملحوظ، كأن جسده تقلص تحت وطأة السنوات، أو كأن الكرامة التي تلبسها تطلب جسداً أكبر.

كانت ملامحه تحمل مزيجاً حاداً من العزة الأكاديمية التي لا تموت، والإنهاك النفسي المرير الذي يعرفه كل من جلس على كرسي حكم وهو يعلم أنه مجرد دمية. أمامه، على الجانب الآخر من الطاولة، كان يتكى بثقل ووقاحة **أبو رائد** — المشرف السلالي الجديد، الذي حل محل أحمد حامد بعد أن بدأ الأخير يفقد السيطرة على الملفات المالية.

كان أبو رائد في الثلاثينيات من عمره، يرتدي عسيباً وثوباً مائلاً للاتساح كما لو أنه لم يغسل منذ أسابيع — لكن أحداً لا يجرؤ على ملاحظة ذلك. فوق الثوب، كان يرتدي جاكيتاً شتوياً قاتمًا، رغم أن الطقس لم يكن باردًا. كان يتكى على بندقيته الكلاشينكوف كأنها عصا ملك، ويمضغ القات بهستيرية، فيدير الأوراق في فمه كطاحونة صغيرة، ثم يبصق التفل هنا وهناك دون مبالاة.

كانت عيناه جاحظتين، تنضحان بالاستعلاء السلالي الذي لا يُرى إلا فيمن تربى على عقيدة أن دمه أغلى من دم الآخرين. بدأت الكاميرا — أو البصيرة — بزاوية منخفضة، ركزت على حذاء "أبو رائد" المترب، وهو يستقر بوقاحة فوق حافة الطاولة الخشبية الراقية للوزير. كان الحذاء يزيح بوقاحة ملفاً رسمياً يحمل شعار الجمهورية، شعار الأسد والنسر. الذي كان يرمز إلى دولة لم تعد موجودة.

تراجع الكادر ببطء، ليكشف منصور اليافعي وهو ينظر إلى الحذاء.

كانت عروق جبهته تكاد تنفجر من القهر العظيم. كان يعلم أن هذا الحذاء المتسخ يمثل أكثر من مجرد وقاحة شخصية. كان يمثل دولة كاملة تداس بأحذية الجهلاء.

بصق أبو رائد تفل القات في سلة المهملات ببرود مستفز، ثم نظر إلى الوزير كمن ينظر إلى حشرة:

—اسمعي جيدًا يا منصور. خطابتك الرنانة عن "اللوائح" و"الموازنة" لم تعد تطعم خبزًا.

أشار بإصبعه نحو الخارج:

—أموال صندوق الترويج السياحي، المليارات الثلاثة الراكدة في البنك المركزي، تم تحويلها بقرارات عليا إلى المجهود الحربي وقوافل الدعم. ابتسم ابتسامة باردة:

—التوقيع الشكلي منك مجرد تحصيل حاصل. فلا تكثري من النحيب.

كان صوته خشنًا، أجش، كمن يأكل الزجاج قبل أن يتكلم. لكنه كان يحمل تلك النبذة التي لا تقبل الجدل، نبذة من يملك القوة المطلقة في عالم انهارت فيه كل القوانين. وقف منصور اليافعي ببطء.

كانت حركته ثقيلة، كمن يرفع جبلًا عن كتفيه. استند بيديه المرتجفتين على الطاولة، ونظر إلى المشرف بعيون كانت تذرف دموعًا من الداخل فقط.

قال، وكان صوته متهدجًا لكنه حاد كالشفرة:

—قرارات عليا؟! ومن أنت لتتحدث باسم القرارات العليا يا "أبو رائد"؟

رفع صوته قليلاً:  
—أنا وزير في هذه الحكومة بقرار جمهوري. وهذا الصندوق  
الذي تنهبونه شهرياً بمئات الملايين لم يُنشأ ليغذي جيوب  
عصابتك، ولا لصيانة قلاعكم المشيدة في مران!  
أشار إلى الملفات المتناثرة:  
—هذا مال الموظفين. مال المرشدين السياحيين الذين  
يقتاتون التراب في شوارع صنعاء. هذا شرف المهنة والقانون  
الذي تدوسه بحدائك هذا!  
كان صوته يرتجف، لكنه كان صادقاً. كان صراخ رجل رأى كل  
شيء ينهار، وقرر ألا يموت صامتاً.  
ضحك أبو رائد.  
كانت ضحكته قصيرة، جافة، كصوت حصي- يُسحق تحت  
عجلات دبابة.  
نزل قدمه من على الطاولة ببطء، ثم وقف. اقترب من الوزير  
بوجهه، حتى كادت أنفاسهما تلتقي. كانت أنفاسه تفوح برائحة  
القات الرطب والتبغ الرخيص.  
همس، وكان همسه كسم في أذن:  
—قانون؟  
توقف للحظة، ثم فحص:  
—القانون هو ما نخطه بدمائنا في الجبهات يا هذا.  
ابتعد قليلاً، ثم عاد:  
—أنت هنا مجرد "ديكور" للعالم الخارجي، لنقول لهم إن  
هناك دولة.  
أشار إلى كرسي الوزير:  
—لولا أقدامنا الحافية لما جلست على هذا الكرسي الوثير.  
ثم قال ببرود:

—غداً صباحاً، أريد شيئاً بمائتي مليون تحت مسمى "دعم  
فعاليات المولد".

همس:

—وان رفضت. فسيكون مكانك بجوار الجواسيس في زنازين  
الروضة.

ابتسم:

—مفهوم؟

وقف منصور اليافعي صامتاً للحظة.

كانت الدموع تحتبس في عينيه، ترفض النزول، كما يرفض  
الجبل أن ينهار. كان يتنفس بصعوبة، كمن يشق هواءً ملوثاً  
بالسم.

ثم قال، بصوت مكسور، لكنه كان لا يزال يحمل شيئاً من  
الكرامة:

—لقد خذلونا. خذلنا الجميع.

رفع عينيه إلى السقف:

—بعنا كرامتنا بأيدينا حين صمتنا يوم دخلتم عاصمتنا.

ثم صرخ فجأة، وكانت صرخته كزلزال صغير:

—لكن الذل الذي تمارسه أنت وسيدك في مكتب الرئاسة

فاق قدرة البشر على الاحتمال!

جمع أوراقه بسرعة، ونهض:

—سأستقيل. سأترك لكم هذه المزبلة التي تسمونها حكومة!

مشى نحو الباب بخطوات ثقيلة.

لم يلتفت.

كان يعلم أن خلفه، كان أبو رائد يبتسم.

ابتسامة من يعرف أنه انتصر مرة أخرى.

لكن منصور اليافعي كان يعلم أيضًا شيئًا آخر: أنه على الأقل  
خرج من المكتب الذي يداس فيه الشرف، ورأسه لا يزال  
مرفوعًا.  
وأن هذه القصة ستروى.

## المشهد الثاني والثمانون بعد المائة مبنى رئاسة الوزراء — مكتب رئيس الحكومة في صنعاء النهار

كان مكتب رئيس الحكومة أشبه بمتحف للهزائم.  
المكتب كبير، فخم، لكن الجو فيه كان ثقيلاً، خانقاً، كغرفة  
انتظار الموت. الكراسي الجلدية السوداء كانت فارغة في  
معظمها، وكأن من يجلس عليها يعلم أنه لا يستحقها.  
يجلس خلف المكتب الدكتور عبد القادر، رئيس الحكومة  
البديل — الذي حل محل بن حبتور بعد أن أقيـل كشماعة.  
كان رجلاً مسنّاً، في السبعين من عمره، ملامحه ميتة كأنها  
منحوتة من الجص، ونظاراته السمكية تجعل عينيه تبدوان  
أكبر مما هما عليه، لكنهما كانتا خاويتين من أي أمل أو طموح.  
كان غارقاً بين كومة من الملفات التي لا يقرأها أحد — ملفات  
المعاناة اليومية التي تتراكم ولا تجد حلاً.  
فتح الباب فجأة منصور اليافعي.

كان وجهه محمراً من الغضب، ويده لا تزال ترتجف. لم ينتظر  
أن يُدعى للجلوس. بل اقترب من مكتب رئيس الوزراء، ورعى  
بملف الاستقالة بقوة فوق الأوراق المتناثرة.  
وقف، ينظر إلى الدكتور عبد القادر، وعيناه تشتعلان.  
رفع الدكتور عبد القادر رأسه ببطء، كمن يسمع صوتاً من عالم  
آخر.

نظر إلى منصور بنظرة خاوية، مليئة بالضعف والانهزام  
الاستراتيجي. لم يكن يتفاجأ. لقد اعتاد على هذه الجناز  
السياسية اليومية. كان الاستقالات تصل إلى مكتبه كقطرات  
المطر في الشتاء — متوقعة، ومملة، ولا تغير شيئاً.  
تنهد بعمق، ثم قال بصوته الواهن:

—اجلس يا منصور. اهدأ.  
أشار إلى كرسي:  
—الاستقالة ليست حلاً.  
نظر منصور إليه باستغراب:  
—ليس حلاً؟!  
اقترب من المكتب، وضرب بيده على الطاولة بحركة وألم عميق:  
—لقد بح صريخي قبلك مع "الرئيس" بشأن تغول هؤلاء الصغار.  
ضحك ضحكة مرة:  
—السيد يطالبنا بالصبر، ويقول إن المرحلة مرحلة "مواجهة العدوان" وعلينا تحمل التجاوزات.  
جلس منصور للحظة، ثم نهض مجدداً:  
—الصبر؟! حتى متى؟  
صرخ:  
—حتى يمرغوا ما تبقى من شرفنا العسكري والمدني في وحل سلايتهم؟  
اقترب من رئيس الوزراء، ونظر في عينيه:  
—السيد يطالبنا بالصبر وهو يرى أطفالاً لم يبلغوا الحلم يقودون جنرالات قضوا عقوداً في الخدمة!  
ثم قال الجملة التي كانت تحمل كل شيء:  
—صديقي عبد القادر. خذلنا الجميع، ولم أعد أحتمل هذا الذل.  
تنفس بعمق:  
—إن كان بقاؤك هنا كشاهد زور يرضيك، فأنا يماني أحرارنا لا يقبلون الهوان.

استدار وغادر الغرفة بخطوات ثقيلة.  
كانت خطواته تتردد في الردهة الفارغة، كأنها خطوات جنازة.  
ترك رئيس الوزراء يغرق في صمته المذل.  
كان وجهه لا يزال خاويًا، كئيبيًا، كمن يشاهد سفينة تغرق  
ويعلم أنه لا يستطيع فعل شيء.  
لكن في داخله، في مكان ما، ربما كان هناك صوت يهمس: "لقد  
كنت يومًا رجلًا... ماذا بقي منك؟"  
لكنه أخرس الصوت.  
واستمر في التوقيع على الملفات التي لا تغير شيئًا.

المشهد الثالث والثمانون بعد المائة  
حي شمالان — شمال العاصمة صنعاء — أمام منزل العميد  
ناصر الجايفي \_ الوقت نهاريًا — الشمس حارقة  
كان حي شمالان في يوم من الأيام حيًا هادئًا، يسكنه ضباط  
الجيش وكبار الموظفين. كانت بيوته واسعة، وحدائقه  
خضراء، وأطفاله يلعبون في الشوارع.  
اليوم، كان الحي أشبه بمنطقة حرب.  
كان الشارع المحيط بمنزل العميد ناصر الجايفي محاصرًا  
بعربات عسكرية — "أطقم" — تابعة للمليشيا، مدرعة،  
ثقيلة، كأنهم يستعدون لاقتحام قلعة وليس منزل رجل  
مسجون منذ ثماني سنوات.  
العميد ناصر الجايفي كان واحدًا من كبار ضباط الجيش اليمني  
الذين رفضوا الانضمام إلى المليشيا بعد انقلاب ٢٠١٤. دفع  
ثمن رفضه غاليًا: سجن، تعذيب، وعزل عن أسرته. واليوم،  
بعد ثماني سنوات في الزنازين، كانوا يأتون لهدم منزله.  
لم يكن العقاب كافيًا بجسده فقط — بل كان يجب أن يمتد  
إلى جدران بيته، وإلى ذاكرة أبنائه.  
يقف على رأس الحملة الأمنية أبو جبريل، مشرف سلافي في  
الأربعينيات، ملامحه غليظة كالصخر، يحمل جهاز لاسلكي في  
يده ويصرخ بأوامر عسكرية بربرية لمسلحين يحملون عبوات  
متفجرة ومواد حارقة.  
كان صوته يعلو على صوت محركات الأطقم:  
— أخرجوا النساء والأطفال فورًا! لا نريد أحدًا بالداخل.  
أشار إلى البيت:

— هذا البيت وكر للمرتزقة، فصاحبه يقبع في زنازيننا منذ سنوات ولم يتب، وتفجير هذا الوكر هو رسالة لكل خائن في هذا الحي!

كان الجيران ينظرون من خلف النوافذ برعب وعجز صامت. كانوا يعلمون أنهم قد يكونون التاليين. فتح باب المنزل.

خرجت منه أم أحمد، زوجة العميد الجايفي، امرأة ستينية، تندثر بعباءتها السوداء. كانت ملامحها محفورة بالصبر اليميني الأصيل وألم الفراق. كانت تجر خلفها حفيدتيها الصغيرتين بثبات يزلزل الأرض.

توقفت أمام أبو جبريل، ووقفت كجبل لا يهتز.

قالت بصوت جهوري يملأ الشارع:

— فجروه. احرقوه صخرة صخرة!

رفعت رأسها:

— تظنون أنكم بإحراق الحجارة تكسرون عزة العميد ناصر؟

ابتسمت ابتسامة مريّة:

— ناصر مسجون في زنازينكم منذ ثمانية أعوام، لم تهزوا منه

شعرة، ولم يسمع منكم إلا بصاق التحدي.

أشارت إلى البيت:

— هذا البيت بنيناه عرقاً بعرق، من شرف الخدمة العسكرية

في أرياف اليمن وجبالها، وليس من أموال الخمس والنهب

والجبايات!

تقدم أبو جبريل خطوة، ودفعها بطرف بندقيته قسراً بلا رحمة:

— إلى الورا يا امرأة.

قال ببرود:

—أحمدي الله أننا لم ندفنكم تحت أنقاضه. بيت الخائن  
مباح للمسيرة.  
لم تتراجع أم أحمد خطوة واحدة.  
بل التفتت إلى الجيران، ورفعت صوتها:  
—انظروا يا أبناء صنعاء!  
أشارت إلى الأطقم:  
—انظروا إلى مسيرة "القرآن" كيف تحرق بيوت الضباط  
الذين حموا حدود هذا الوطن بأجسادهم بينما كان هؤلاء في  
الكهوف!  
ثم صرخت:  
—احرقوا يا كهنة. ففجر الحرية قادم، وبناء البيوت أهون  
علينا من بناء الكرامة التي دمرتموها!  
نظر إليها أبو جبريل بغیظ.  
أشار بيده إلى المسلحين.  
انسحب الجميع إلى الخلف.  
ثم — سمعوا دوي انفجار هز الحي بأكمله.  
ارتفع دخان أسود كثيف من نوافذ البيت، واللهب بدأ يلتهم  
الستائر والأثاث الخشبي.  
كانت أم أحمد تحتضن الحفيدتين، وعيناها تعكسان لهيب  
النار بتحدٍ صارم.  
لم تبك.  
لم تصرخ.  
كانت تنظر إلى حريق بيتها كما ينظر القائد إلى معركة خسرها  
لكنه لم يخسر الحرب بعد.  
كان وجهها يقول: "سنبني من جديد. والكرامة لا تحترق".

## المشهد الرابع والثمانون بعد المائة نقطة تفتيش عسكرية — مدخل روضة الشهداء — صنعاء النهار

كانت الحافلة القديمة تتوقف عند نقطة التفتيش، كما تتوقف كل السيارات في هذا البلد الذي تحول إلى سجن كبير. داخل الحافلة، كان يجلس اللواء علي الحيمي، ضابط كبير سابق في الجيش اليمني، رجل في الستينيات، ذو بنية عسكرية مهيبه لا تزال تحمل أثر الرجال الذين صنعوا التاريخ. كان يرتدي بزته العسكرية الرسمية، المغطاة بالأوسمة والنياشين التي حصل عليها في حروب سابقة — حروب كان يظن أنه يقاتل من أجل الوطن فيها.

كانت ملامحه تنطق بتاريخ حافل، لكن عينيه كانت مكسورة بالحزن. حزن من رأى كل ما بناه ينهار في سنوات قليلة. إلى جانبه، كان يجلس مجموعة من كبار الضباط، رفاق دربه، جميعهم يرتدون بزاتهم الرسمية، وجميعهم يحملون نفس الحزن في عيونهم.

خرج فجأة من الطقم العسكري المتوقف أمام الحافلة المشرف الصغير "أبو حيدر" — "لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

كان يرتدي زيًا عسكريًا فضفاضًا يرفرفه كعلم على جسده النحيل، ويحمل كلاشينكوفًا أطول من جسده. كان وجهه طفوليًا، لكن عينيه كانتا جاحظتين، تحملان استعلاءً بربريًا لا يعرف الرحمة.

مع أبي حيدر، كانت ثلة من المسلحين الأطفال — "الأشبال" — تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة. كانوا

جميعًا يحملون أسلحتهم كألعاب خطيرة، ويتصرفون كمن  
يملكون العالم.  
وقف أبو حيدر أمام باب الحافلة، وصرخ بصوت مرتفع، نزع  
طفولي موجه أيديولوجيًا:  
— كل من في الحافلة... انزلوا!  
أشار إلى الأرض:  
— نزلوا فردًا فردًا. تفتيش دقيق بالأيدي!  
رفع صوته:  
— لا يهمني لواء ولا عميد. أنتم هنا لتأدية الواجب وتشجيع  
قادتنا الأطهار، فتحركوا بأدب!  
نزل اللواء علي الحيمي من الحافلة ببطء.  
كانت خطواته ثقيلة، ليس من التعب، بل من الاستغراب.  
وقف أمام الطفل، ونظر إليه بذهول ممزوج بالمشاعر الاستراتيجية  
يمزق أحشاءه.  
قال بصوت أبوي، حزين:  
— يا بني. أنا قضيت في القوات المسلحة أربعين عامًا.  
تنهد:  
— خضت معارك الدفاع عن الجمهورية بينما لم يكن أبوك قد  
ولد بعد.  
أشار إلى الحافلة:  
— نحن هنا بناء على أوامر قسرية لحضور التشييع.  
نظر في عيني الطفل:  
— فكيف تجربنا على النزول والتفتيش بهذا الأسلوب المهين  
أمام المارة؟  
رفع أبو حيدر بندقيته، ودفع صدر اللواء الحيمي بفوهتها  
بوقاحة صبيانية.

صرخ:

—اصمت يا عجوز!

ابتسم ابتسامة طفل قاس:

—رتبكم هذه بللوها واشربوا ماءها.

ثم قال بنبرة تتحدى كل شيء:

—لولا سيدي ومولاي لكنتم الآن بين يدي الدواعش.

أشار إلى الطريق:

—امشوا على أقدامكم لمسافة كيلومترين حتى المقبرة. ودع

الشارع يرى من هم "جنرالات الكرتون" الذين سلموا البلاد!

ساد صمت.

نظر اللواء الحيمي إلى رفاقه.

ثم بدأوا يمشون.

كانوا يمشون بخطوات ثقيلة، تحت الشمس الحارقة، على رصيف تراي. بزاتهم الرسمية كانت تتسخ بالغبار، وأوسمتهم كانت تلمع كدموع يابسة.

كان الأطفال المسلحون يحيطون بهم من كل جانب، يوجهونهم كأسرى حرب، يصرخون في وجوههم كلما تباطأ أحدهم.

والمارة كانوا ينظرون من بعيد.

كانت عيون المارة تحمل الذهول أولاً، ثم القهر، ثم شيئاً آخر: أمل يختنق في الصدر، أمل بأن هذا المشهد المهين سيكون يوماً ما شاهداً على جريمة، وأن العدالة ستأتي يوماً.

كان اللواء الحيمي يمشي، وعيناه على الأرض.

كان يفكر في الأوسمة التي على صدره.

هل كانت تستحق كل هذا؟

أم أنها كانت مجرد أوسمة وهمية على صدر رجل عاش وهمًا؟

رفع رأسه للحظة.  
نظر إلى السماء.  
كانت السماء زرقاء، صافية، كأنها لا ترى ما يحدث تحت  
سمائها.  
تنهد.  
واستمر في المشي.

## المشهد الخامس والثمانون بعد المائة مبنى المنظومة العدلية — مقر سري ومصادر — صنعاء الليل

كانت الغرفة مظلمة، إلا من ضوء خافت يتركز على خريطة ممدودة فوق طاولة خشبية طويلة. الخريطة كانت توضح مساحات شاسعة من أراضي همدان وبني مطر وبني الحارث — أراضي القبائل التي كانت العمود الفقري للمقاومة الشعبية ضد الإمامة القديمة.

لكن اليوم، كانت هذه الأراضي قد سُطبت باللون الأحمر. شطب المصادرة.

يجلس خلف الطاولة القاضي — المشرف الأعلى الذي يمثل سلطة محمد علي الحوثي في "المنظومة العدلية". كان رجلاً ذا لحية كثيفة، يرتدي عمامة سوداء، ويجلس على وسائل وثيرات كأمرء العصور الوسطى. إلى جانبه، كانت تتراكم ملفات الأراضي المصادرة في طوق صنعاء.

أمامه، كان يجلس الشيخ ناجي الغشمي، أحد شيوخ طوق صنعاء، من قبيلة همدان. كان رجلاً خمسينياً، قبيلي الهيبة، يرتدي ثوباً شعبياً وشالاً يمانياً أحمر. كانت ملامحه تعكس غدر التحالفات القديمة — كيف أنه فتح للمليشيا جبهات همدان، وآمن لهم الدخول إلى شمال العاصمة حين كان الجميع يتربص بهم.

واليوم، كانوا يأخذون أرضه.

إلى جانب القاضي، كان يجلس اللواء يحيى الشامي — اسم مستعار حركي لـ "صانع الهياكل العسكرية الحوثية"، الذي حل محل الغماري بعد مقتله. كان يرتدي زياً مدنياً، صامتاً، يدخن بشراهة وينظر إلى الخرائط بعيون لا تعبر عن شيء.

بدأ الشيخ ناجي يتحدث.  
كان صوته هادئاً، يرتجف قهراً، كمن يصرخ في وجه القدر:  
—أنا من فتحت لكم جبهات همدان! أنا من أمنت لخلاياكم  
الدخول إلى شمال العاصمة يوم كان الجميع يتربص بكم!  
ضرب بيده على الطاولة:  
—واليوم... تأتون بقواتكم ومصادريكم لتأخذوا أرض أجدادي  
بحجة أنها "أملاك دولة وأوقاف لآل البيت"؟  
صرخ:  
—أهذا هو رد الجميل يا قاضي؟  
رفع القاضي رأسه ببطء.  
كان يقلب الأوراق ببرود تام، دون أن ينظر إلى الشيخ.  
قال بصوت هادئ، كمن يقرأ وصية:  
—يا شيخ ناجي. البلاد تجاوزت عهد "المشيخة" والإقطاع  
القبلي.  
أشار إلى الأوراق:  
—هذه الأراضي مسجلة في الدفاتر القديمة كسبيل وأوقاف  
للإمام شرف الدين.  
رفع عينيه:  
—ونحن، بصفتنا "المنظومة العدلية"، نعيد الحقوق إلى  
أهلها وجبهاتها.  
ابتسم ابتسامة باردة:  
—ثم إن هناك تهمة تلاحقك بأنك لم تدفع "الخمس" من  
عائدات كسارات الهمداني لعامين متتاليين.  
وقف الشيخ ناجي بقوة، كأن الأرض اشتعلت تحت قدميه.  
ربط جنبيته بتحدٍ، وقال:  
—خمس؟!!

صرخ:

—أخذتم الزكاة، وأخذتم المجهود الحربي، وضرائب القات،  
والآن تريدون أرضنا ورقابنا تحت مسمى الخمس والمنظومة  
العدلية؟

ثم قال الجملة التي هزت الغرفة:

—والله لو انطبقت السماء على الأرض، لن نسلم أرضنا  
للإمامة الجديدة.

نظر إلى القاضي بعيون تشتعل:

—قبائل الطوق التي أدخلتكم بجهلها، هي ذاتها القبائل التي  
ستلفظكم حين يصحو وعيها!  
ابتسم اللواء يحيى الشامي.  
كانت ابتسامته خبيثة، باردة.  
قال بصوته الهادئ:

—إذن. فلتستريحوا قليلاً في ضيافة الأمن الوقائي يا شيخ

ناجي.

أشار بيده:

—حتى تراجعوا دفاتر وعيكم الطائفي.

فتح الباب، ودخل مسلحون.

اقربوا من الشيخ ناجي، وسحبوا جنبيته من حزامه، وجروه  
خارج الغرفة.

كان الشيخ يصرخ — :والله لن تسلم أرضنا... والله سترون...

ثم اختفى صوته في الممر.

أطفاً القاضي سيجارته، وعاد إلى تقليب الأوراق.

كانت عيناه لا تعبران عن شيء.

كانت هذه هي "المنظومة العدلية": سرقة، وأوراق، واعتقال.  
لا أكثر.

المشهد السادس والثمانون بعد المائة  
مقر الإدارة العامة للبحث الجنائي — صنعاء — مكتب  
مدير البحث الجنائي

كان العقيد هاشم القحوم، مدير البحث الجنائي المعين من قبل المليشيا، يسير في غرفته جيئة وذهابا. كان يرتدي بزة عسكرية زرقاء، وكانت ملامحه قلقة، متوترة، كمن يمشي على أرض من الجمر.

كان يعلم أن أي خطأ قد يكون آخر خطأ في حياته. أمامه، كان المقدم عارف، معاون العقيد ومسؤول رصد الخروقات، يحمل وثائق وبرقيات عاجلة مشفرة. كان وجهه شاحبًا، وعيناه تلمعان بذعر لا يمكن إخفاؤه.

التقطت الكاميرا — البصيرة — لقطة قريبة على برقية سرية للغاية، مكتوب عليها بخط عريض أحمر:  
"يُمنع منعًا باتًا التعامل مع مندوبي جهاز الأمن والمخابرات  
التابع لجناح نجل المؤسس"

توقف العقيد هاشم فجأة، ونظر إلى المقدم عارف:  
— هل تأكدت من الاختراق يا عارف؟  
أقرب منه:

— هل بالفعل يقوم جهاز المخابرات الخاضع لـ "علي حسين"  
بزرع أجهزة تجسس في مكاتب التحقيق التابعة لنا؟  
أجاب المقدم عارف بصوت خفيض، مرعوب:  
— نعم يا فندم.

تنهد:

— ليس هذا فحسب، بل قبضنا على اثنين من مندوبيهم في  
إدارة الأدلة الجنائية بتغسيل معلومات وتسريب تقارير لجهاز

أمني خاص ينشئه "علي حسين" بحثًا عن سلطة موازية  
لتصفية حسابات بين أجنحة صعدة وصنعاء.

همس:

—إنهم يتهموننا بالتنسيق مع "أطراف معادية" لمجرد أننا  
رفضنا تسليمهم ملفات الجبايات الكبرى!

ضرب العقيد هاشم مكتبه بقوة، حتى اهتزت الأوراق المتناثرة  
فوقه:

—هذا تمرد صريح على المؤسسة الأمنية!

صرخ:

—نحن لسنا حظيرة لأجنحتهم الخاصة وتصفية حساباتهم  
السلالية!

جلس على كرسيه، وأخذ نفسًا عميقًا:

—وزع برقية فورًا. أمر عملياتي صارم لكل المحافظات  
والإدارات.

رفع صوته:

—يُمنع أي تعامل، أو تبادل معلومات، أو استقبال لمندوبي  
جهاز المخابرات هذا.

ثم قال الجملة التي كانت إعلان حرب صامت:

—من يقترب من أجهزتنا سيعامل كطابور خامس. وليحدث  
ما يحدث!

جلس المقدم عارف يكتب البرقية.

كانت يده ترتجفان.

كان يعلم أن هذه البرقية قد تكون شهادة موته.

لكنه كان يعلم أيضًا أنها قد تكون شهادة ميلاد شيء جديد.

المشهد السابع والثمانون بعد المائة  
أحد المقاهي الشعبية المظلمة في صنعاء القديمة — نقطة  
لقاء سريّة لـ "الخط الأحمر"  
الليل

كان المقهى صغيراً، مظلماً، مخفياً في زقاق لا يزوره أحد. كان  
المكان فارغاً تقريباً، إلا من خالد والنقيب سمير.  
خالد كان مهندس برمجيات، عضواً قيادياً في المقاومة الرقمية  
"الخط الأحمر". كان في الثلاثينيات من عمره، ذكياً، ملامحه  
هادئة كمن يعرف أكثر مما يقول. لكن عينيه كانتا تشتعلان  
بالأمل والمقاومة الدؤوبة — ذلك الأمل الذي لا يموت مهما  
طال الليل.

النقيب سمير كان ضابط أمني، انشق سراً عن المليشيا، وكان  
يعمل في البحث الجنائي. كان يرتدي ملابس مدنية بالية  
للتمويه، وملامحه متعبة كمن لم ينم منذ أيام. لكن عينيه كانتا  
لا تزالان تحتفظان ببريق من أراد أن يفعل شيئاً صحيحاً قبل  
أن يموت.

كان ضوء مصباح الكيروسين الخافت ينعكس على وجهيهما.  
مد النقيب سمير يده بحذر شديد، ومرر شريحة ذاكرة صغيرة  
— فلاش ميموري — بين أصابعه، وسلمها لخالد.  
همس:

— هذا كل ما استطعت سحبه قبل صدور برقية القطيعة بين  
أجهزة البحث والمخابرات.

تنفس بعمق:

— الصراع بين أجنحتهم وصل لطريق مسدود بسبب مقتل  
القيادي العسكري الكبير "محمد الغماري".  
همس:

— كل جناح يحمل الآخر مسؤولية الاختراق والفشل الاستخباراتي.

أخذ خالد الشريحة، وضعها في جيبه الداخلي كأنها أمانة مقدسة.

قال بصوته الهادئ، الذي يحمل ثقة المقاوم الواعي:  
— هذا التصدع هو شرخ الكرامة الذي سندخل منه لتحرير ما يمكن تحريره.

نظر إلى سمير:

— كيف يبدو الوضع في غرف إدارة دمج الأجهزة الجديدة؟  
تنهد سمير:

— إنهم يبنون مسخًا أمنيًا جديدًا يسمى "جهاز الظل".  
همس:

— دمج كامل للأمن القومي والسياسي بقوة السلاح لتغطية فضائهم وإحكام السيطرة البوليسية.  
أشار إلى الخارج:

— إنهم يفتشون حتى هواتف الفتيات وطلاب الجامعة بحثًا عن أي صوت حر.  
تنهد:

— صنعاء تخنق يا خالد. تخنق بصمت مرعب.  
وضع خالد يده على كتف سمير بثبات وعاطفة حية:  
— لن تخنق صنعاء وطالما أن هناك عرقًا ينبض بالحرية.  
ابتسم:

— هذا العمل الدؤوب الذي نقوم به، وتوثيقنا لكل خطوة وإذلال يمارسونه ضد الأحرار وضد ضباطهم أنفسهم، هو الوقود الذي سيشعل فجر الانتفاضة القادمة.  
نظر في عيني سمير:

—ارفع رأسك يا سمير.

رفع قبضته:

—المشرط بأيدينا، وسنشرّح هذا القبح الكهنوتي حرفًا

بحرف!

أوماً سمير برأسه.

كانت عيناه تدمعان.

لكنه كان يبتسم.

لأول مرة منذ سنوات، كان يبتسم.

المشهد الثامن والثمانون بعد المائة  
مبنى الإذاعة القديم — صنعاء — مكتب "أبورائد" السري  
الليل — متأخر

كان المكتب صغيراً، قذراً، مليئاً بأعقاب السجائر وأوراق القات  
الذابلة. على الجدران، كانت صور لقتلى المليشيا تُوَطر كأنها  
قديسين في كنيسة الحرب.

يجلس أبورائد خلف مكتب خشبي بسيط، وعيناه تشتعلان  
بالجشع. أمامه، كان يجلس عادل، محاسب صندوق الترويج  
السياحي، رجل يمني مغلوب على أمره، يرتدي نظارة طبية  
مكسورة على أنفه، وعيناه تدمعان بصمت.

كان عادل يمسك بدفاتر الحسابات الرسمية للجمهورية —  
دفاتر كان يظن يوماً أنها تحمي المال العام.  
اليوم، كان يعلم أنها مجرد ورق للزينة.

كان أبورائد يمزق أوراق الشيكات الرسمية ويرميها في سلة  
القمامة ببرود. ثم أخرج ورقة بيضاء عادية، وضعها أمام عادل.  
قال بصوته البارد القاسي:

— اكتب يا عادل.

بدأ يملي:

" — تم صرف مبلغ خمسمائة مليون ريال بناء على توجيهات  
أمنية عليا لصالح أعمال البناء والترميم الخاص بالمؤسسات  
الجهادية."

أشار إلى الورقة:

— واختم بخاتم الصندوق.

بكى عادل.

كانت دموعه تسقط فوق الورقة بآلم عارم.  
رفع رأسه، وقال بصوت يرتجف:

— يا أبو رائد. هذا تزوير علني وجناية يعاقب عليها القانون!  
أشار إلى الدفاتر:  
— هذه ميزانية تشغيل المكاتب ورواتب الموظفين الصغار  
الذين لا يملكون ثمن قوت يومهم.  
بكى:  
— والله إن أطفالي ينامون جوعًا منذ ثلاثة أشهر بانتظار هذه  
المستحقات!  
صرخ:  
— كيف أصرفها لشراء العقارات باسم "المسيرة"؟!  
وقف أبو رائد من كرسيه ببطء.  
أقرب من عادل، ومسك بفكه وضغط عليه بعنف سلاحي.  
همس في وجهه:  
— تتحدث عن أطفالك؟  
ابتسم ابتسامة قاتلة:  
— أطفالنا يموتون في الجبهات لكي تعيش أنت هنا في أمان  
وتعد الملايين!  
زاد قبضته:  
— القانون الذي تبكي عليه مات يوم دشنا عهدنا الجديد  
بالدم والتضحية.  
ثم قال ببرود:  
— إن سقطت دمعة أخرى منك فوق هذه الورقة، فسأجعل  
أطفالك يزورونك في مقبرة هبرة.  
ترك فكه، وعاد إلى كرسيه:  
— اكتب. ولا تنبس ببنت شفة.  
جلس عادل صامتًا.  
كانت دموعه لا تزال تسقط.

رفع القلم.  
كتب.  
كانت يده ترتجف كمن يوقع على حكم إعدام.  
لكنه كتب.  
كانت كل كلمة يكتبها تحفر قبرًا أعمق لكرامته.  
لكنه كان يعلم أيضًا أن كل كلمة يكتبها ستكون يومًا ما دليلاً  
على جريمة.  
ابتسم في داخله.  
كانت ابتسامة الأمل المختبئ.

المشهد التاسع والثمانون بعد المائة  
شوارع صنعاء — محيط ساحة التغيير السابقة  
الفجر  
كانت خيوط الفجر الأولى تشق صدر ظلام صنعاء الحالكة.  
السماء كانت تتلون باللون الأزرق الفجري، كأنها تستعد لميلاد  
جديد.

في هذا الغبش الذي يسبق النور، كان خالد وعضو آخر من  
"الخط الأحمر" يقفان بالقرب من جدار إسمنتي كبير، كان  
مغطى بشعارات المليشيا وصرختها الطائفية.  
كان خالد يحمل في يده بخاخًا أسود اللون.  
نظر حوله. كان الشارع فارغًا تقريبًا.  
رفع البخاخ، وبخط عريض وثائر، بدأ يكتب فوق شعار  
الكهنوت:

"صنعاء حرة.. وسلطة الظل ستنتهار"  
كانت حروفه كبيرة، جريئة، كأنها تعلن الحرب.  
في الجهة الأخرى من الشارع، كانت شابة من أحرار "الخط  
الأحمر" تلصق منشورات صغيرة فوق أعمدة الإنارة.  
المنشورات كانت تتضمن صورًا لوزير السياحة  
المستقيل منصور اليافعي، ومنزل العميد ناصر  
الجايفي المحترق، وتحتها عبارة:  
"أحذيتهم فوق جثث الدولة.. وعينا الأحرار توثق  
الفضيحة.. انتفضوا لكرامتكم"

انتهى خالد من الكتابة.  
نظر إلى كلماته، ثم إلى السماء.  
كانت السماء تزدد زرقة.

تنفس الصعداء، ومسك هاتفه ليثبت التوثيق الرقمي فورًا  
لسيرفرات المقاومة.  
همس، وكان قلبه ينبض بالأمل والمقاومة الدؤوبة:  
— خطوة بخطوة يا صنعاء.  
ابتسم:  
— مشط الحقيقة بدأ بالتشريح.  
رفع رأسه إلى السماء:  
— والعمل الدؤوب لن يتوقف حتى يسقط هذا الكهنوت  
البوليسي القبيح.  
ثم قال الجملة الأخيرة:  
— وتشرق شمس الجمهورية من جديد!  
تحركت الكاميرا بزاوية عمودية نحو السماء.  
كانت السماء تتلون باللون الأزرق الفجري.  
كانت تعلن بداية النهاية.  
أو بداية البداية.

الفصل الثاني: خنق المربعات  
المشهد التسعون بعد المائة  
تقاطع شارع ١٤ أكتوبر مع حي حدة — صنعاء — بالقرب  
من محطة بترول  
الوقت في النهار — شمس شاحبة تحجبها غيمة غبار  
ممتدة

كان تقاطع ١٤ أكتوبر في يوم من الأيام شريانًا حيويًا لصنعاء.  
كانت السيارات تمر فيه بسلاسة، وكان الناس يمشون على  
أرصفته دون خوف.

اليوم، كان التقاطع أشبه بفم تنين يفترس كل من يقترب.  
حاجز تفتيش إسمنتي مستحدث كان يقسم الشارع إلى  
نصفين، كتل إسمنتية ضخمة كانت تزحم الطريق، وعربات  
عسكرية مدرعة "أطقم" كانت تقف على جانبي الطريق بوضع  
الاستعداد، بنادقها موجهة نحو السيارات المارة كأنها تنتظر أي  
خطأ.

الطواير كانت طويلة. السيارات كانت تختنق بالرعب.  
السائقون كانوا يخفضون رؤوسهم، والنساء كن يضبطن  
أنفاسهن.

في وسط هذا الرعب، كانت تتوقف سيارة قديمة تحمل  
طبيبتين.

الدكتورة سماح الأسود كانت في أواخر العشرينيات، ترتدي  
بالطو المختبر الأبيض فوق عباءتها. كانت ملامحها تنضح  
بانهاك مناوبات المستشفى، وبدايات دعر حاد بدأ يتسلل إلى  
عينها.

إلى جانبها، كانت تجلس شقيقتها الدكتورة أروى الأسودى،  
طبيبة أطفال، تبدو أصغر سنًا، وأكثر خوفًا. كانت عيناها  
متسعيتين من صدمة الموقف المفاجئ.

خرجت من أحد الأطقم أم العقيل، مشرفة الزينبيات في  
المربع. كانت امرأة غليظة القوام، تتشح بالسواد الكامل. كانت  
تحمل في يدها هراوة كهربائية صاعقة، وتحدث بفوقية  
طائفية مستبدة، كمن تملك الحق المطلق في إذلال الآخرين.  
تقدمت أم العقيل نحو سيارة الطبيبتين، وضربت بقوة على  
الزجاج الجانبي بظهر يدها.

فتح الباب ببطء.  
اقتحمت أم العقيل المساحة الشخصية للطبيبتين بفجاجة،  
وألقت نظرة مشبوهة على بالطوهما الأبيض.  
صرخت بصوت حاد وأجش يشق سكون الرعب:  
—انزلا من السيارة فورًا!  
أشارت إليهما:

—أيتهن الطبيبات "المحترمات". الأمن الوقائي لديه بلاغات  
عن تحركات مشبوهة في هذا المربع.  
صاحت:

—الهواتف. هاتي هاتفك أنت وهي بلا لجاجة!  
حاولت الدكتورة سماح أن تحافظ على تماسكها. كان صوتها  
يرتجف، لكنه كان يحمل عزة وكبرياء يمانيًا مكلومًا:  
—هواتفنا؟!

نظرت إلى أم العقيل:  
—بأي حق تفتشين هواتفنا يا امرأة؟  
أشارت إلى بالطوها:

—نحن طبيبات، عائدات من مناوبة ليلية في مستشفى الثورة  
لإنقاذ حياة الناس.

رفعت صوتها:

—والرسائل والصور في هذه الأجهزة تحمل خصوصيات  
عائلية وأسرار مرضى!

صرخت:

—أين القوانين؟ أين الأعراف والأسلاف اليمنية التي تحمي  
حرمة النساء في الشوارع؟

ضحكت أم العقيل.

كانت ضحكتها قصيرة، جافة، كصوت حصي يُسحق.

انتزعت الهاتف من يد سماح بعنف بربري، وهزت الهراوة  
الصاعقة أمام وجهها.

قالت بصوت مشبع بالكراهية:

—الأسلاف ماتت يوم خانت قراكم "المسيرة".

ابتسمت:

—والقوانين نكتبها نحن ببنادقنا لتطهير الفضاء الرقمي من

خلايا "الخط الأحمر" وجواسيس السفارات!

بدأت تتصفح الرسائل والصور بهستيرية مستفزة:

—تتباكين على الخصوصية بينما هواتفكن قد تحمل سموم

الخيانة أو صور الطغاة وعفاش!

ثم قالت:

—إن عثرت على أنشودة ثورية واحدة لذكرى سبتمبر،

فسيكون مبيتكما الليلة في زنازين التوجيه الطائفي!

وقفت سماح صامته.

كانت دموعها تحتبس في عينيها.

كانت تفكر في المرضى الذين تركتهم في المستشفى، في الأطفال  
الذين كانت ستعالجهم في العيادة صباحًا.  
كانت تفكر في كل شيء إلا في "الخيانة" التي تتهمها بها أم  
العقيل.  
لم تكن خائنة.  
كانت طبيبة.  
لكن في مملكة الكهنة، الطبيب أصبح جاسوسًا، والمعلم  
أصبح عميلًا، والمواطن أصبح عبدًا.

المشهد الحادي والتسعون بعد المائة  
منزل الناشط نذير الأسودى — صنعاء — مجلس عائلي  
بسيط — الوقت المغرب — ذات اليوم  
كان المنزل صغيرًا، بسيطًا، كمعظم بيوت صنعاء القديمة.  
الجدران كانت مطلية باللون الأبيض، والنوافذ الخشبية كانت  
تطل على زقاق ضيق.  
في زاوية الغرفة، كانت تجلس الدكتورة سماح والدكتورة  
أروى، تكيان بانكسار ورعب صامت. كان الباطو الأبيض لكل  
منهما ملقى على الأرض، كأنه كرامة ماثورة.  
كان يسير في الغرفة نذير الأسودى، الأب، كاتب وأب ثائر. كان  
في الخمسينيات من عمره، خط الشيب عارضيه، وملامحه  
تحمل مزيجًا حادًا من الألم، والندم، والمقاومة الكظيمة.  
كان يقبض على قلمه كمن يقبض على آخر أمل.  
نظر إلى ابنتيه المكمومتين. كانت عيناه تشتعلان بغضب عارم  
يرفض البتر، غضب من رأى كل ما يحب يُداس تحت أقدام  
الجهلاء.  
رفعت أروى رأسها، وتحدثت بين شهقات دموعها بأنفاس  
سينمائية حية:  
— يا أبي. لم نعد نحتمل.  
بكت:  
— فتشوا كل شيء. قرأوا رسائلنا الخاصة، وتصفحوا صورنا  
بأعين مليئة بالتخوين والابتزاز.  
أشارت إلى الخارج:  
— عساكرهم بالزي الرسمي كانوا ينظرون إلينا كأننا سبايا  
وجواسيس لمجرد أننا مررنا بشارع أكتوبر بعد مناوبة إنسانية!  
صرخت:

—لم نعد نريد العمل في العيادة، ولا نريد هذه المدينة  
بأكملها.

بكت:

—صنعاء تحولت إلى سجن مخابراتي مفتوح.

همست:

—نريد الهجرة إلى "دبع". هناك على الأقل لا تدوس أحذيتهم  
كرامة النساء!

جلس نذير بجوارهما.

كانت حركته بطيئة، ثقيلة، كمن يحمل جبلاً على ظهره.  
احتضن يديهما بعاطفة جياشة وعميقة تشق صدر الصمت.

قال بصوت مكسور:

—يا بناتي. سامحي.

تنهد:

—أنا الذي رفضت المغادرة في سنوات القصف الأولى.

نظر إلى السماء:

—قلت "نبقى مع الناس في أرضنا."

ابتسم بحزن:

—وظننت أن القذائف التي تأتي من السماء هي أقصى. ما

يمكن أن يصيبنا من ألم ومعاناة.

ثم قالت الجملة المريرة:

—لكنني أخطأت.

بكى:

—لم أدرك أن الطغيان الكهنوتي حين يعجز عن توفير الغذاء

والماء، يسخر كل موارده وجهاز ظله البوليسي. لمطاردة

المحادثات واغتيال شرف العائلات!

وقف ورفع قبضته:

— هذا النظام المستبد اللعين جعل من أجساد وخصوصيات  
حرائرنا "سورًا قصيرًا" ليواري خلفه رعب تفككه وفشله  
الاستخباراتي بعد مقتل الغماري!  
ثم قال بصوته الذي بدأ يستعيد قوته:  
— لا شمال فلح ولا جنوب فلح، وسأرحل بكن.  
نظر إلى قلمه:  
— ولكن قبل أن أغادر، سيكون قلبي هو المشروط الذي يشرح  
عورة هذا الاستبداد الكهنوتي الفج أمام العالم.  
رفع قلمه:  
— بلا استعجال يقتل الحبكة!  
كانت عيناه تشتعلان.  
كان يشبه تلك اللحظة التي يقرر فيها جبل أن يثور.  
كان يعلم أن قلمه قد لا يغير شيئًا.  
لكنه كان يعلم أيضًا أن الصمت هو الموت.

المشهد الثاني والتسعون بعد المائة  
أحد المرتفعات الجبلية المطلة على قرية في ريف محافظة  
إب

الليل — الظلام دامس، وصوت العواصف يعلو في الآفاق  
كان الظلام دامسًا كالحرير.

لكن فوق قمة الجبل، كانت نار تشتعل.  
بشير الحارثي، شاب ثائر من أحرار إب، كان في العشرينيات من  
عمره، يرتدي معوزًا وشالًا، ويحمل مكبر صوت صغيرًا بيده.  
كانت عيناه تبرقان بالأمل، ذلك الأمل الذي لا يمكن لأي  
قصف أن يطفئه.

إلى أسفل، في الوادي، كانت ثلاثة أطقم عسكرية تابعة  
للمليشيا تطلق نيرانها عشوائيًا، بذعر وهلع. كان المشرف أبو  
تراب، قائد الحملة الأمنية، يصرخ عبر اللاسلكي بأوامر  
متناقضة، لا يعرف كيف يواجه هذه الانتفاضة الجديدة.  
فجأة، شق صدر الصمت المظلم صوت أنشودة وطنية  
هادرة.

كانت الأغنية تخرج من مكبر الصوت الذي يحمله بشير:  
"أنا يماني.. أنا يماني.. أنا من صنعاء ومن عدن ومن تعز ومن  
حضر موت"

ترددت أصداؤها في أودية إب المنتفضة، وتزامنت مع إشعال  
إطار سيارة مستعمل كشعلة ثورية لذكرى ٢٦ سبتمبر.  
صرخ بشير عبر مكبر الصوت بتحدٍ يملأ الأثير:  
— عاشت الجمهورية اليمنية!

رفع صوته:

— برع يا مشرفين برع!

صاح:

—يمن الكرامة لن يركع لخرافة مران السلالية الفجة!  
أشار إلى النار:

—من جبال إب الأبية نوقد شعلة الحرية، ليعلم الطغاة أن  
القبضة البوليسية لن تقتل وعي سبتمبر في قلوبنا!  
صرخ أبو تراب من أسفل بذعر عبر اللاسلكي، وهو يوجه بندق  
أطقمه نحو مصدر الصوت:  
—أطلقوا النار نحو القمة!  
صرخ:

—اقلبوا القرية رأسًا على عقب!  
رفع صوته:

—الخونة والجواسيس يشعلون النيران للتنسيق مع الطيران  
والبعثات الدولية باسم الثورة!  
ثم قال بغضب:  
—إن عجزتم عن صيد هذا الجاسوس، فاعتقلوا كل ذكور  
القرية، بمن فيهم "العاقل".  
صاح:

—لن نترك أحدًا يمارس طقوس الرفض والإطاحة بأسلافنا  
الأطهار!

لكن النار كانت لا تزال مشتعلة فوق الجبل.  
وكانت الأغنية لا تزال تتردد في الأودية.  
لم يكن الرصاص يخيف بشير.  
لقد كان ينتظر هذه اللحظة طويلًا.

المشهد الثالث والتسعون بعد المائة  
ساحة قرية الجاهلية — مديرية همدان — ضواحي صنعاء  
الفجر الباكر  
كانت الساحة الترابية واسعة، وكان الفجر الباكر يلقي بظلاله  
الرمادية على كل شيء.

في وسط الساحة، كان عارف قطران، محاسب ريفي في  
الخمسينيات، يرتدي ثوبًا قديمًا ممزقًا من الأطراف، يقف  
مكبلاً بالأصفاد. إلى جانبه، كان يقف ابنه عبد السلام قطران،  
طالب جامعي، وجهه ملطخ بالدماء من ضربة تلقاها على  
جبهته.

كانت المليشيا قد داهمت منزلهم بأكثر من عشرين عربة  
عسكرية، وأخرجتهم إلى الساحة أمام أعين النساء والأطفال  
المذعورين.

يقف أمامهم المشرف السلالي "أبو طه الوشلي" ومعه  
عناصره المدججين بالرشاشات الخفيفة. كان يضرب كعب  
بندقيته على الأرض بنفاد صبر، وعيناه تبحثان في وجوه  
الأسرى عن أي علامة للخوف.

رفع عارف صوته، وكان صوته الجهوري الثابت يشق عويل  
العاصفة الفجرية:

— لماذا تقتحمون حرمت البيوت يا لصوص؟

نظر إلى المسلحين:

— لم نسرق، لم ننهب، ولم نأخذ خمس أموال الناس بالباطل  
مثلكم!

أشار إليهم:

—جئتم بكل هذه القوافل العسكرية لتخطفوا رجالاً طاعناً  
وشاباً لمجرد أننا رفعنا علم الجمهورية فوق سطح بيتنا بشكل  
دؤوب احتفاءً بتاريخ أرضنا؟  
تقدم أبو طه خطوة، ووجه كعب بندقيته نحو صدر عبد  
السلام:

—رفع العلم في هذا التوقيت هو إعلان تمرد!  
همس بغضب:

—وأمر صادر من منصة "الخط الأحمر" الإلكترونية لإثارة  
الفوضى بين السكان!  
صرخ فجأة:

—أنتم تتخذون من المناسبات الوطنية "سورًا قصيرًا"  
لتطعنوا به مسيرتنا القرآنية وتغيرنا الجذري بعد مقتل محمد  
الغماري!

أشار إلى عارف:

—أين أخوك المحامي الذي يدافع عن الجواسيس؟  
ابتسم ابتسامة قاتلة:

—ستتعفنون في الزنازين الانفرادية حتى تتعلموا الولاء لآل  
البيت!

رفع عبد السلام رأسه رغم الدم الذي كان يسيل من جبهته.  
نظر إلى المشرف بعيون لم تعرف الخوف يومًا.  
صرخ بقوة تملأ الفضاء اليماني:

—خراقة آل البيت سقطت تحت أقدام وعي شعبنا الليلة!  
ابتسم:

—هذا الموقف وهذا الاعتقال هو مشرطنا.

رفع صوته:

—بهما نُشْرَح قبح استبدادكم البوليسي الخائف!

نظر إلى السماء:  
— خذونا إلى مسالخكم.  
همس:  
— فكل زنزانة تديرونها هي شاهد حي تروي للأجيال أن يمن  
الكرامة حرّ وباري.  
ثم قال الجملة الأخيرة:  
— وأن سلطة الظل ونظام المشرفين سينتهي بالعمل الدؤوب  
لانتزاع حريتنا!  
أشار أبو طه للمسلحين:  
— خذوهما.  
جرّوا الأب والابن إلى داخل الطقم.  
كانت أم عبد السلام تركض خلفهم، تصرخ:  
— ابني! ابني!  
لكن الطقم تحرك.  
واختفى في غبار الفجر.

المشهد الرابع والتسعون بعد المائة  
مبنى مكتب التربية والتعليم بمحافظة عمران — شمال  
صنعاء

كان المكتب واسعاً، لكن جوهر كان خانقاً. على الجدران،  
كانت صور زعيم المليشيا تطل كأشباح.  
يجلس الأستاذ خالد الحوالي، معلم أجيال في الخمسينيات  
من عمره، يرتدي كوتاً قديماً مهترئ الأطراف، وعيناه غائرتان  
من جوع السنوات التسع الممتدة بلا راتب.

كان يحمل في يده ملفه الشخصي، وكانت يده ترتجف.  
أمامه، خلف الطاولة، كان يجلس المشرف التعليمي السلاي  
"أبو جهاد"، الرجل الذي عُين لإدارة قطاع المناهج والتطهير  
الوظيفي. كان يمسك في يده كشفًا رسميًا بأسماء المعلمين  
المطرودين.

على الكشف، كان هناك خط أحمر عريض شطب أسماء  
٤٧٧٣ من الموجهين والمعلمين.

كان أبو جهاد يمضغ القات ببرود، وينظر إلى الأستاذ خالد  
باستعلاء لا يُحتمل.

وضع الأستاذ خالد يديه المرتجفتين — بسبب سوء التغذية  
— فوق الكشف، وقال بآلم عارم:

— تسع سنوات يا "أبو جهاد".

تنهد:

— تسع سنوات وأنا أقتات التراب وأبيع أثاث منزلي لكي أصل  
إلى المدارس بعمران وأعلم أطفال اليمن.

رفع صوته:

— لأن التعليم هو شرف الجمهورية!

بكى:

—و حين أ طالب بنصف الراتب الجائع الذي تصرفونه كل ستة أشهر، تجازوني بشطب اسمي وفصلي من وظيفتي بتوجيهات وزيركم بتاريخ فبراير ٢٠٢٥؟!

صرخ:

—أهذه هي مسيرتكم؟

أشار إلى الكشف:

—مذبحة ممنهجة بحق كرامة المعلم لإحلال عناصركم الطائفية المجهلة بدلاً عنا؟

قال أبو جهاد ببرود:

—أنت منقطع عن حضور دورات "التعبئة الثقافية" يا حارة.

ابتسم:

—وتطالب بالأجور بينما الجبهات تحتاج كل ريال!

رفع صوته:

—المطالبة بالرواتب في هذا الوقت هي طابور خامس ومؤامرة يحركها الجواسيس في المنظمات الدولية لإنهاك المجتمع بتوجيه من الأمم المتحدة!

ثم قال:

—من لا يعمل بلا أجر لخدمة المسيرة. فمكانه الشارع أو مقصلة الفصل القانوني بلا عاطفة!

وقف الأستاذ خالد.

كانت حركته بطيئة، لكنها كانت كزلزال.

رفع قلم الرصاص بيده كأنه رمح مقاوم.

نظر إلى أبو جهاد بعيون تشتعل:

—المؤامرة هي جهلكم وفشلكم الذي يداريه نظامكم

البولييسي!

أشار إلى الخارج:

— حرمتهم مليون موظف من لقمة العيش وبنيتهم بعائدات  
الضرائب والجبايات قصورًا فاخرة لمشرفيكم في حي حدة  
والجرف!

ثم قال:

— هذا القلم وهذا الجوع هما مشرطي الليلة.

ابتسم:

— بهما أُشْرِح قبح تدميركم للأجيال.

رفع صوته:

— أسقطوا أسمائنا.

همس:

— فالعلم والمشهد بأيدينا.

ثم قال:

— وعملنا الدؤوب لتنوير عقول أبناء القبائل سينتزع الحرية  
من بين مخالب خرافاتكم.

نظر إلى الكشف:

— ولن تقتلوا روح سبتمبر بكشوفاتكم الميتة!

أشار أبو جهاد للحراس:

— أخرجوه.

سحبوا الأستاذ خالد خارج المكتب.

كان يصرخ:

— العلم لا يموت! العلم لا يموت!

وارتفع صوته في الممر.

ثم خفت.

ثم صمت.

المشهد الخامس والتسعون بعد المائة  
الأحياء السكنية المكتظة لمدينة تعز المحاصرة — منطقة  
كلاية / الشقب — أشعة الشمس الحمراء تنعكس فوق  
أنقاض المنازل المهدومة  
كانت شوارع تعز ميتة.

النوافذ كانت مغلقة بأكياس الرمل، والشوارع كانت خالية إلا  
من أشباح تتحرك بخوف. القناصة كانوا يتربصون فوق  
الجبال، ينتظرون أي هدف — طفل، امرأة، عجز — لا فرق.  
في هذا الموت البطيء، كان **الطفل منير**، ذو العشر سنوات،  
يمشي- حافي القدمين على التراب، يحمل وعاء ماء بلاستيكيًا  
صغيرًا.

كانت براءته ممتزجة بخوف دائم، خوف من طلقة قناص قد  
تأتي من أي مكان.

على عتبة منزلها المائل، كانت تجلس **الحاجة فاطمة**، جدته،  
امرأة سباعية مكافحة، كانت تصلي بصمت كظيم وتراقب  
النوافذ بقلق حاد.

كانت تعلم أن كل خطوة يحاولها حفيدها قد تكون الأخيرة.  
نظرت منير وهو يحاول عبور طريق ترابي مكشوف.

صرخت بهمس مرعوب:

—منير! انحنِ يا بني. لا ترفع رأسك!  
أشارت إلى الجبل:

—القناص في جبل عصيفرة والأربعين لا يرحم صغيرًا ولا  
كبيرًا.

بكت:

—لقد أطلقوا النار بالأمس على جارتنا وهي تصلي في باحة  
بيتها!

همست:

—أحياؤنا تحولت إلى مناطق موت زؤام بسبب قصفهم  
المدفعي المنهجي لإنهاك كرامتنا وضغط الحصار المستمر!  
لم ينته منير من عبور الطريق.

فجأة، شق صدر الصمت دوي طلقة قناص.

كانت حادة، مدوية — صوت الموت الخفي.

سقط وعاء الماء من يد منير.

وتناثرت قطرات الماء ببطء — كأن الزمن توقف — تعكس

لهيب الشمس.

وسقط منير.

كان مصاباً في ساقه، ينزف ألماً وتضحية فوق تراب تعز  
المكلومة.

صرخ بغصة طفولية ممتدة تشق صدر الصمت:

—آه... يا جدي!

بكي:

—أصابني اللعين!

رفع عينيه نحو السماء:

—لماذا يطلقون النار علينا ونحن لسنا في جبهة قتال؟

بكي:

—لماذا يحاصرون مدينتنا ويمنعون عنا الحياة والرواتب

لتسع سنوات؟

زحفت الحاجة فاطمة نحو حفيدها.

كان جسدها المنهك يزحف على التراب، وعيناها تدمعان،

لكنها كانت تحاول ألا تبكي.

احتضنته بقوة، وصرخت نحو الجبل المظلم:

—قنصكم وقصفكم المدفعي المتكرر ليس خطأ عسكرياً!

صاحت:

— بل هو جبن استبدادكم يا أعداء الطفولة والكلمة الحرة!

رفعت قبضتها:

— تظنون أنكم بإبقائنا تحت ضغط الخوف والعدالة المؤجلة  
ستركعون تعز الأحرار؟

بكت:

— والله لو أبدتمونا فردًا فردًا.

همست:

— ستظل دماء أطفالنا هي المشروط الذي يشرح زيف مسيرتكم  
الكهنوتية.

رفعت رأسها:

— وعمل أبطالنا الدؤوب لكسر الحصار سيظهر اليمن من  
دنسكم بالعلم والمقاومة الحية!

كان منير لا يزال يبكي.

كانت أمه تركض نحوه.

وكان الدم يغرق التراب.

لكن لا أحد كان يعرف متى سيتوقف هذا الدم.

أو متى سيكون ثمنه الحرية.

المشهد السادس والتسعون بعد المائة  
المقر السري المتقدم لـ "الخط الأحمر" في حصن خولان  
الرقمي — شاشات الرصد تتدفق ببيانات الانتهاكات  
الجسيمة لعام ٢٠٢٥

كانت الغرفة تضيء بشاشات متعددة، كل شاشة تعرض وجهًا  
جديدًا من وجوه القبح.

وليد ونادية، قادة جبهة الوعي الرقمي، كانا يجلسان أمام  
الشاشات، يراقبان تدفق الانتهاكات. إلى جانبهما، كان الرائد  
طارق وسارة يتابعان خطوط التفتيش المخبرية للمليشيا في  
صنعاء، وحملات اعتقال المعلمين وعمال النظافة المضربين.

على الشاشة الرئيسية، كان التقرير الحقوقي الحصري يظهر  
أرقامًا مرعبة: أكثر من ٢٤٠٠ انتهاك جسيم، ٩٣٪ منها نسبت  
لسلطة الظل الحوثية، واختطاف أكثر من ٦٠٠ مدني في حجة  
وذمار والبيضاء لمجرد الاحتفال بثورة سبتمبر.

نقر وليد على لوحة المفاتيح بقوة. كان صوته عميقًا، ممتدًا:  
— يا نادية. يا طارق.

أشار إلى الشاشات:

— القبض على الأمنية المخبرية في صنعاء وصلت لمرحلة غير  
مسبوقة من الرعب والهلع البوليسي.  
ابتسم ابتسامة باردة:

— إنهم يعيشون رعبًا حقيقيًا من اندلاع انتفاضة شعبية  
بسبب الانهيار الاقتصادي ومجاعة الرواتب!  
تابع:

— نشرنا الزينبيات بالهراوات الصاعقة في حي حدة والجرف  
وحول القصر، ويفتشون هواتف نساءنا بأسلوب مستفز جدًا.  
نظر إلى نادية:

— قصة ابنتي الكاتب نذير الأسودي هزت وجدان العاصمة  
الليلة!  
وقفت نادية.  
كانت حركتها بطيئة، واعية، كمن ينهض لإلقاء خطاب تاريخي.  
مدت يدها نحو سماعة البث العام، وعيناها تعكسان كرامة  
وعزة الثائرات السبائيات.  
قالت بصوت درامي طويل:  
— هذا النمط الممنهج لإدارة المجتمع بالقوة والترهيب يعري  
عورتهم الطائفية أمام العالم يا وليد.  
تنهدت:  
— غياب المساءلة الدولية وضعف آليات المحاسبة بسبب  
عدم انضمام اليمن لنظام روما الأساسي جعلهم يظنون أن  
العدالة ستظل مؤجلة بلا رادع.  
رفعت صوتها:  
— لكنهم واهمون!  
أشارت إلى الشاشات:  
— هذا الأرشفة القانوني والبيانات والوثائق المسربة التي  
نجمها بالعمل الدؤوب، هي المشارط الرقمية التي سنكسر بها  
سلطة الظل ونظام المشرفين الفج من الجذور.  
ابتسمت:  
— بالعلم والمشهد.

المشهد السابع والتسعون بعد المائة  
شوارع مديرية الحدا بمحافظة ذمار — المخزن البشري  
الذي صحا من سباته — تدافع أكثر من عشرين عربية  
عسكرية حوثية لقمع القرى  
كانت جبال ذمار تشتعل.

الشيخ عبد القوي الحداوي، أحد الشخصيات القبلية الحرة،  
كان يقف فوق قمة جبل شاهق. حوله، كانت الإطارات  
المشتعلة تبدد ظلام الليل بأنوار سبتمبر الذهبية. كان في  
الأربعينيات من عمره، وقفته صلبة، وعيناه تشتعلان بأمل لم  
يعد يخاف.

أسفل الجبل، كانت أطقم المليشيا تحاول يائسة إطفاء جذوة  
الوعي بالاعتقالات التعسفية لأكثر من ١٠٠ شخص في  
المديرية.

صرخ الشيخ عبد القوي بصوته الجهوري الفخم، الذي كان  
يزلزل المليشيا المهاجمة:

— اعتقلوا. دهموا بيوتنا. طاردونا إلى قمم الجبال يا عبيد  
الخرافة!

ضحك ضحكة قصيرة:

— ذمار التي ظننتموها يومًا "مخزنًا بشريًا" لمقاتليكم لتغذية  
حروبكم العبيثة، صحا وعيها الليلة بنيران سبتمبر العظيمة!  
أشار إلى النيران:

— اتهمتمونا بالعمالة لمجرد أننا أشعلنا النار لنصنع فنجان  
شاي أو لنحتفي بحريتنا.

رفع صوته:

— وجعلتم من حملاتكم البوليسية "سورًا قصيرًا" لإخفاء  
فضيحتكم الاقتصادية!

ثم قال:

— هذا اللهيب وهذا الموقف هما مشرطنا الليلة.

نظر إلى السماء:

— وبهما نُشَرِّح قبح استبدادكم.

همس، وكان صوته يملأ الوادي:

— وجمهوريتنا باقية ولن تحكمونا بالحق الإلهي المزعوم بعد اليوم!

كانت النيران تشتعل أعلى.

وكانت المليشيا تطلق النار عشوائيًا أسفل.

لكن لم يعد أحد يخاف.

لقد تجاوزوا الخوف.

المشهد الثامن والتسعون بعد المائة  
الشوارع المحيطة بجولة آية ومحيط السبعين بصنعاء —  
لقطة بانورامية لشروق الشمس بعد ليلة الطوارئ  
البوليسية - شروق الشمس — الساعة الخامسة وخمس  
وأربعون دقيقة صباحًا  
كانت الشمس تشرق كعادتها.

لكنها لم تكن كأى شروق. كانت تشرق على صنعاء مختلفة.  
في الشوارع، كانت أطقم الزينبيات وعساكر المخابرات الحوثية  
تقف بتعب وذعر. كانت ليلتهم طويلة، مرعبة. لقد نشروا  
المنشورات الرقمية، لكنها انتشرت أكثر مما توقعوا. لقد  
أغلقت المربعات، لكن الوعي تسلل من كل ثغرة.  
خالد وأعضاء "الخط الأحمر" كانوا في الميدان، يرتدون الزي  
المدني المموه، يراقبون انسحاب الأطقم بتعب، ولكن بانتصار  
صامت.

على شاشة خيالية متعددة الكادرات، كانت تتقاطع الصور:  
في كادر: الطيببتان سماح وأروى والكاتب نذير وهم يغادرون  
باتجاه قريتهم برؤوس مرفوعة. هاتف نذير كان يبث نداء  
الرفض الذي يشق صدر الصمت بمئات الآلاف من التفاعلات  
الرقمية.

في كادر آخر: الأستاذ خالد الحوالي وموظفو عمران وهم  
يوزعون دفاتر التعليم الجمهوري سرًا في البيوت بتحدٍ دؤوب  
ومقاومة واعية لفصل الوظائف.

في كادر ثالث: الحاجة فاطمة والطفل منير في تعز المحاصرة  
وهم يرفعون علم الجمهورية اليمنية الكبير فوق نافذة منزلهم  
المخترق بالرصاص. أشعة الشمس كانت تبدد غبار القنص  
والدموع بشروق يملأ القلوب عزة وأملًا.

**صوت الراوي — الدكتور عبدالعالم العنسي**  
من زنزانته، حيث كانت خيوط الشمس تلامس جدرانها لأول مرة منذ شهور، بدأ عبدالعالم يتحدث.  
كان صوته فخماً، وقوراً، يختتم الفصل بثقل استراتيجي:  
— حين يتحول الفضاء الرقمي وشوارع العاصمة إلى ساحة لخنق المربعات، وتستعين المليشيا بهراوات صاعقة لتفتيش هواتف الحرائر وترهيب المعلمين وشطب أجور الملايين.  
تنفس بعمق:  
— يعلن الطغيان عن هلع وجودي يسبق السقوط الكبير.  
ابتسم:  
— السفارات والمنظمات لن تكون سورهم القصير بعد الليلة.  
رفع صوته:  
— ومسرّحية "الجواسيس" دمرتها جسارة المرأة الشائرة، وثبات الطيبة، وعزة المعلم، وأمل الطفل المكلوم في خنادق تعز الأبية.  
ثم قال:  
— خطوة بخطوة، يتلاحم كود المقاومة الرقمية للخط الأحمر بمشرط الوعي الشعبي والقبلي في ذمار وحجة والمحويت.  
همس:  
— ليصغيوا معاً ملحمة العمل الدؤوب لانتزاع الحرية.  
رفع رأسه:  
— انكسر حاجز الخوف الشامل.  
ثم قال الجملة الأخيرة:  
— وسيظل فجر ٢٦ سبتمبر منارة لا تخبو، ورواية حية تروي للأجيال أن يمن الجمهورية لن يركع لخرافة السلالة.

ابتسم:

—وحرًا إلى الأبد!

غرف الدمج والسيطرة

المشهد السابع عشر بعد المائتين

مقر جهاز الأمن والمخابرات الموحد — المبنى السابق

للأمن القومي — صنعاء- الليل — أيار/مايو ٢٠٢٦ —

طقس خانق، إضاءة النيون البيضاء الباردة تهيمن على

الممرات

كان المبنى في حياته السابقة رمزًا لهيبة الدولة. كانت جدرانه تسمع وقع أحذية كبار الضباط، وأصوات الأوامر العسكرية التي ترسم حدود الأمن القومي. اليوم، كان المبنى أشبه بجثة حية تن تحت وطأة التحولات.

الممرات الطويلة كانت شبه خالية، والطلاء كان يتقشر. من الجدران كجلد مريض، وكأن المبنى نفسه كان يعاني من مرض التآكل المؤسسي. الذي أصاب كل شيء. على الجدران، كانت صور لرموز المليشيا قد رُفعت فوق بقايا شعارات الجمهورية المححوة. كانت الصور تنظر إلى كل مار بنظرات تهديد، كأنها تذكره بأن السيادة لم تعد للوطن، بل لـ "السيد" الذي لا يرى. في نهاية الممر، كانت غرفة العمليات الرئيسية. شاشات عملاقة تعرض خرائط سيرفرات "يمن نت" و"تلي يمن"، وجنود بملابس مدنية وأسلحة آلية حديثة يقفون عند كل منعطف. كان الجو مشحونًا برائحة الخوف والارتباب.

في وسط هذه الفوضى المنظمة، كان يسير اللواء عبد الحكيم الخيواني " —أبو الكرار"، رئيس جهاز الأمن والمخابرات الموحد.

كان رجلاً في الخمسينيات، ملامحه كانت دائماً قاسية كالصخر، لكن الليلة كانت ملامحه تعكس شيئاً آخر: إجهاداً عميقاً، ومرارة التهميش. كانت عيناه الغائرتان تنظران إلى الأمام، لكنهما كانتا تعكسان شعوراً بالعزلة، كمن يرى مملكته تنهار أمام عينيه ولا يستطيع فعل شيء. كانت الكاميرا — أو البصيرة — تتحرك خلفه ببطء، في لقطة سينمائية طويلة ومتحركة، تتبع خطواته في الممر الرئيسي، لتعكس حجم الهيكل الاستخباراتي الجديد الذي وُلد مشوهاً من دمج الأمن القومي والسياسي. وصل إلى غرفة الاجتماعات. فتح الباب.

كان العميد أحسن عبد الله الحمران — قائد جهاز الأمن الوقائي — جالساً بالفعل، يمضغ القات ببرود مستفز. كان الحمران يمثل ذراع مكتب عبد الملك الحوئي في صنعاء، وكانت ملامحه حادة، وصوته يحمل استعلاء العقيدة المغلقة. كان يرتدي زياً شعبياً بـ "جنبيه" ثمينة على حزامه، كأنه يريد أن يذكر كل من يراه بأنه ليس مجرد ضابط، بل هو من "السلالة".

إلى جانبه، كان يجلس المهندس رمزي المقطري — رئيس قسم البرمجيات المستحدث — شاب ثلاثيني من أبناء تعز، أُجبر على العمل تحت التهديد بتصفية عائلته. كانت ملامحه ذابلة، وعيناه تعكسان رعباً مستمراً، كمن يمشي على حبل مشدود فوق جحيم.

جلس الخيواني على رأس الطاولة، ونظر إلى الحمران. قال بنبرة متهدجة تحمل غضباً مكتوماً:

—دمجنا الأمن القومي والأمن السياسي بقرار من رئيس المجلس السياسي مهدي المشاط، ظننا أننا نبني قبضة موحدة تحت مظلة "جهاز الأمن والمخابرات".  
توقف للحظة، ثم أضاف:

—والآن؟ نجد "جهاز أمن الثورة" واستخبارات الشرطة يقتحمون مربعاتنا.  
رفع صوته قليلاً:

—يا حمران، الأمن الوقائي يتصرف وكأنه الكيان الوحيد في هذه البلاد، وأنا رئيس هذا الجهاز أصبحت محاصرًا بالتقارير التي ترفع من خلف ظهري مباشرة إلى صعدة!  
ابتسم الحمران ابتسامة باردة، ووضع ورقة قات جديدة في فمه.

قال ببرود:

—يا أبو الكرار، الزمن تغير.

أشار بإصبعه نحو الخيواني:

—والضربات الإسرائيلية التي حصدت الغماري والرهوي في أغسطس الماضي كشفت أن أجهزتك التقليدية مخترقة حتى النخاع.

وقف من كرسيه ببطء، وتقدم خطوة:

—الأمن الوقائي هو خزانة أسرار المسيرة القرآنية. عبد الملك الحوئي لا يثق الآن بالهيكل القديمة.  
ثم قال الجملة التي كانت كالطعنة:

—إما أن تُدار هذه المنظومة كاملة وفق التوجيهات الجذرية الصادرة من مركز صعدة، أو لتجلس في مكتبك لتدير المعتقلات والسجون فقط، واترك الفضاء الرقمي لمن يعرف كيف يحميه!

جلس الخيواني صامتًا للحظة.  
كانت عروق جبهته تكاد تنفجر.  
لكنه لم يرد.  
كان يعلم أن أي كلمة سيقولها الآن قد تكون آخر كلماته في  
هذا المنصب — أو في هذه الحياة.  
تنفس المهندس رمزي بصعوبة.  
كان صوته يخرج كهمة، ترتجف معه فرائص كرامته  
المهدورة:  
— سيدي اللواء.  
نظر إلى الخيواني:  
— منظومة التجسس الرقمي تم ربطها بالكامل بمزودي  
الإنترنت في "يمن نت" و"تلي يمن".  
أشار إلى الشاشات:  
— قمنا بدمج برمجيات GuardZoo و OilAlpha لتتبع كل  
شاردة وواردة.  
همس:  
— لم نعد بحاجة لمخبرين في الشوارع، المدينة كلها أصبحت  
عارية داخل هذه السيرفرات.  
نظر إلى الخيواني بعيون خائفة:  
— لكن الصراعات بين المشرفين تعيق تتبع أهداف "الخط  
الأحمر" الحقيقية.  
نظر الخيواني إلى الشاشات.  
كانت عيناه غائرتين، لكنهما كانتا تبحثان عن شيء — رب عن  
أمل، رب عن مخرج.  
لم يجده.

المشهد الثامن عشر بعد المائتين  
مركز التحكم والرقابة السيبرانية المستحدث — غرفة تحت  
الأرض بمبنى المخبرات  
جوف الليل

كانت الغرفة تحت الأرض أشبه بقلب آلي ينبض بإشارات لا تتوقف.

شاشات برمجية زرقاء داكنة كانت تعرض تدفقات البيانات الحية وتنبيهات الاختراق، وخوادم ضخمة تصدر هديرًا مستمرًا كأنين مريض في العناية المركزة. أجهزة رصد مشفرة مستوردة عبر ميناء الحديد كانت تصدر إشارات ضوئية متقطعة، كأنها تتنفس.

في وسط هذا القلب الآلي، كان يقف علي حسين الحوئي — نجل مؤسس الجماعة، رئيس استخبارات الشرطة المستحدثة.

كان شابًا سلاليًا متعرجًا في الثلاثينيات من عمره، يرتدي سترة عسكرية فارهة، وملامحه تعكس طموحًا سلطويًا جارفًا للإطاحة بالقيادات القديمة. كانت عيناه تلمعان كمن يرى مملكته المستقبلية تتراءى له من بعيد.

إلى جانبه، كان يجلس المهندس رمزي المقطري على لوحة التحكم، وأصابعه تضرب المفاتيح بدقة خائفة.

كانت الكاميرا — البصيرة — تركز على شاشة تعرض واجهة برنامج التجسس الموجه ضد هواتف المواطنين والمنظمات الإنسانية. كانت الأرقام تتساقط كالمطر: آلاف الأهداف، آلاف الرسائل، آلاف الخروقات.

تحرك علي حسين بخطوات متباعدة، وأشار بإصبعه نحو الشاشات.

قال بنبرة حادة، ممتلئة بالاستعلاء:  
— اسمعني جيداً يا رمزي.  
توقف أمام الشاشة الرئيسية:  
— جهاز استخبارات الشرطة الذي أقوده يجب أن يملك  
السيطرة الكاملة على برمجية OilAlpha.  
التفت إلى رمزي:  
— الخيواني وجهازه أصبحوا خارج الخدمة الفعلية.  
رفع صوته:  
— أريد تتبعاً كاملاً لكل هاتف يماني في العاصمة، خصوصاً تلك  
المنظمات الإنسانية والإغاثية والمجتمع المدني.  
اقرب منه:  
— هل تم تفعيل أدوات التحكم عن بعد مثل SpyNote  
و Dendroid RAT؟  
تنفس رمزي بصعوبة.  
كانت يدها ترتجفان على لوحة المفاتيح، وكان يحاول إخفاء  
ارتعاشهما بقدر ما يستطيع.  
قال بصوت خفيض:  
— نعم يا سيدي.  
أشار إلى الشاشات:  
— البرمجيات تعمل الآن بكفاءة عبر تقنيات الهندسة  
الاجتماعية.  
توقف لحظة، ثم أضاف:  
— لقد صممنا تطبيقات ذات طابع ديني وعسكري لجذب  
الضحايا.  
رفع عينيه للحظة نحو علي حسين، ثم عاد إلى الشاشة:  
— بمجرد تحميل التطبيق، يسقط الهاتف بالكامل في أيدينا.

بدأ يعدد:  
— نسرق الصور، والوثائق، وبيانات الموقع، بل ونفتح  
المذيع والكاميرا دون علم صاحبها.  
همس — :لقد رصدنا أكثر من ٤٥٠ عنوان IP حتى الآن.  
ثم قال الجملة التي كان يخاف أن يقولها:  
— لكنني أشعر بالتمزق. هؤلاء يمنيون عاديون، بعضهم  
يبحث فقط عن سلة غذائية أو فرصة عمل!  
ضحك علي حسين.  
كانت ضحكته قصيرة، جافة، كصوت حصي يُسحق.  
قال بنبرة ساخرة وفجة تشق صدر الصمت:  
— يمنيون عاديون؟  
تقدم خطوة نحو رمزي:  
— لا يوجد يمني عادي في قاموسنا.  
رفع إصبعه — :إما موالٍ مطلق يخضع لـ "الولاية"، أو عدو  
ومنافق يجب إسقاطه وتجريده من كرامته!  
ثم قال الجملة التي كانت كالموت البطيء:  
— الفضاء السيبراني هو ساحة حربنا الجديدة لتطهير  
العاصمة من الكتل المعادية والسياسيين المستقلين.  
ابتسم ابتسامة قاتلة:  
— ونحن من يمسك بمشرط هذه الحرب!  
جلس رمزي صامتًا. كانت عيناه تدمعان من الداخل.  
كان يعلم أنه أصبح شريكًا في جريمة لا تغتفر. لكنه كان يعلم  
أيضًا أنه لا يستطيع التراجع.  
كانوا يراقبون عائلته.  
كانوا ينتظرون أي خطأ.  
تنفس بعمق، وعاد إلى الكتابة.



—الصور والملفات تختفي، وهناك رسائل غريبة تظهر من  
أرقام مجهولة تدعي أنني متورطة في أعمال مشبوهة.  
بكت:  
—أنا خائفة. أسمع صوتًا غريبًا في الشارع!  
وقف فؤاد من كرسيه ببطء.  
كانت حركته ثقيلة، كمن يحمل جبلًا على كتفيه. ضم ابنته  
بيديه الخشنتين، وصوته كان ينزف ألمًا ممتزجًا بالكرامة:  
—لا تخافي يا ابنتي.  
نظر إلى النافذة:  
—هذا هو "جهاز الظل" الجديد الذي بناه الكهان في صنعاء.  
تنفس بعمق:  
—بعد أن دمجوا الأمن القومي الذي خدمنا فيه لسنوات مع  
الأمن السياسي، حوّلوا الأجهزة الاستخباراتية إلى مقصلة رقمية  
لإسقاط الأسر وتدمير البيوت.  
رفع صوته قليلًا:  
—سلبوا منا رتبنا، وقطعوا رواتبنا، والآن يتجسسون على  
هواتف بناتنا عبر "يمن نت" لتركيعة.  
ثم قال بصوت ممتلئ بالمرارة:  
—مقتل قادتهم الكبار مثل الغماري جعلهم يعيشون عقيدة  
ارتياح عمياء، يظنون أن كل هاتف هو إحداثة لغارة قادمة!  
كانت كلماته لا تزال تتردد في الغرفة عندما سمعوا صوت  
تحطم الباب الخارجي للعمارة.  
كان الصراخ يعلو:  
—افتحوا! بأمر الأمن والمخابرات!  
كانت أقدام المسلحين تصعد الدرج بعنف، بلا أي رادع  
قانوني.

احتضن فؤاد ابنته أكثر، ونظر إلى الباب.  
كانت عيناه تلمعان بتحدٍ.

همس:

—لقد جاءوا يا نجوى.

ابتسم ابتسامة حزينة:

—لا تخافي. لن يكسروا إيماننا بالحرية.  
كان الباب يوشك على الانكسار.  
وكان الفجر لا يزال بعيدًا.

## المشهد العشرون بعد المائتين مكتب رئيس "جهاز أمن الثورة" المستحدث — ضواحي صنعاء - الصباح

كان المكتب ذو طراز إيراني صارم، كما لو أنه نقل بالكامل من طهران إلى ضواحي صنعاء. الأثاث كان بسيطًا لكنه كان يحمل طابعًا عقائديًا، كأن كل قطعة فيه تهمس بقداسة "الولاية". الجدران كانت مغطاة بخرائط إقليمية تشمل الجزيرة العربية بأكملها، كأنهم يخططون لشيء أكبر من اليمن. وشاشات تعرض تقارير الرقابة على باقي الأجهزة الأمنية الأربعة. يجلس خلف المكتب **جعفر محمد المرهبي** — أبو جعفر"، رئيس جهاز أمن الثورة.

كان رجالاً في الخمسينيات، ملامحه غامضة، وكأن وجهه قناع لا يعبر عن شيء. كان يتحدث بنبرة هادئة وخطيرة، كمن يعرف أنه يمسك بخيوط لا يراها الآخرون. كان يحمل إرث "الشباب المؤمن" وتدريبات جنوب لبنان، وكانت عيناه تعكسان إيمانًا مطلقًا بأنه مختار لحماية "الثورة". أمامه، كان يجلس **اللواء عبد الحكيم الخيواني** — لكنه لم يكن يجلس كقائد، بل كمن يحضر جنازته. كانت الكاميرا — البصيرة — تظهر الهوة الكبيرة في النفوذ بين الرجلين، كأنها تلتقط صورة لانهيال هرم السلطة. قلب جعفر المرهبي أوراقًا بهرود، وتحدث بأنفاس سينمائية ثقيلة:

— يا أبو الكرار.

رفع عينيه:

— جهازكم "الأمن والمخابرات" لم يعد قادرًا على مواكبة المشروع التنظيمي الجهادي للمسيرة القرآنية.

وقف من كرسيه ببطء، وتقدم نحو الخريطة:  
" — جهاز أمن الثورة" أنشئ. بقرار مباشر من السيد القائد  
لتوجيه الأداء العام والإشراف على أجهزةكم الأربعة كلها.  
التفت إلى الخيواني:

— نحن الكيان التنسيقي الأعلى، ومهمتنا تتجاوز الداخل إلى  
الأمن الخارجي والإقليمي لفرض الولاية.  
صرخ الخيواني فجأة، وكانت صرخته تحمل مرارة وتحدياً  
يوضح استبداد مراكز القوى:  
— إذن لم يبقَ لنا دور!

وقف من كرسيه، وبدأ يمشي بسرعة:  
— دمجنا الأجهزة، وأفنيينا عمرنا في قمع المعارضين، وفي  
النهاية تأتي أنت لتكون وكيلاً فوق رؤوسنا باسم "أمن الثورة"؟  
رفع صوته:

— عزيز الجرادي والأمن الوقائي يهددون بتصفيتنا، وعلي  
حسين الحوئي يريد تحويلي إلى مجرد مدير للسجون!  
ثم قال الجملة المريرة:

— هذه ليست هيكلة، هذا تمزيق متعمد للأمن بسبب  
خوفكم الوجودي من الضربات الإسرائيلية!  
نظر إليه جعفر المرهبي بعينين حادتين كشفرة المشرط.  
قال بصوت هادئ، لكنه كان كالسكين:  
— الضربات الإسرائيلية جعلتنا ندرك أن المركزية المفرطة  
مقتلة.

أشار إلى الخريطة:  
— لهذا منحنا المناطق العسكرية الست صلاحيات واسعة  
لتنصرف كجيوش مستقلة.  
تقدم خطوة نحو الخيواني:

—أما أنتم في صنعاء، فصرعاتكم على الأموال والجبايات في  
جبل رأس والمديريات هي ما يفكك الجبهة الداخلية.  
ثم قال الجملة الأخيرة:  
—التزم بحدودك يا لواء، فالإزاحة والتطهير لا يستثنيان أحدًا  
في زمن التغيير الجذري.  
وقف الخيواني صامتًا.  
كانت عيناه تلمعان بغیظ مكتوم، لكنه لم ينبس ببنت شفة.  
كان يعلم أن المرهبي على حق.  
كان يعلم أن أيامه معدودة.  
خرج من المكتب بخطوات ثقيلة.  
لم يلتفت.  
كان يعلم أن خلفه، كان المرهبي يبتسم.  
ابتسامة من يعرف أنه انتصر.

## المشهد الحادي والعشرون بعد المائتين مبنى السجن السري لـ "جهاز الظل" — المعروف بـ "سجن شملان" الليل

كان السجن في قبو مبنى مهجور، لا يعرفه أحد إلا من دخلوه. الممرات كانت ضيقة، والجدران الإسمنتية رطبة، تفوح منها رائحة العفن والدم والعرق. كابلات الألياف الضوئية كانت ممتدة فوق أسقف الممرات كشرايين تضخ القمع، وأصوات بكاء مكتوم كان يتردد في الأنحاء كأنين أرواح عالقة بين الحياة والموت.

في إحدى الزنازين الانفرادية، كان المهندس رمزي يقف أمام قضبان حديدية، يتظاهر بفحص القيود الرقمية. داخل الزنزانة، كان الملازم أول فؤاد الذماري مكبل اليدين إلى جدار إسمنتي، وكانت تظهر على وجهه آثار الضرب العنيف. كانت عيناه متورمتين، وشفثاه مشقوقتين، لكنه كان لا يزال واعيًا.

كانت الكاميرا — البصيرة — تركز على لغة العيون المتألمة بين رمزي الذي يشعر بالذنب، وفؤاد الذي يرفض الانكسار. همس رمزي، وهو يتظاهر بفحص القيود:  
— سامحني يا سيادة الملازم.

نظر حوله بخوف:

— أنا مجرد أداة هنا.

همس:

— هم استخدموا برمجياتنا السيرانية لاختراق هاتف ابنتك نجوى وسحبوها إلى هنا لتكريعك.  
تنفس بصعوبة:

—يريدون منك تسليم شفرات الأرشيف القديم للأمن القومي الذي تخفيه.

بصق فؤاد الدماء من فمه، ورفع رأسه.  
كان صوته يخرج متحشرجًا، لكنه كان يشق صدر الصمت بقوة الأمل والمقاومة:

—لا تعتذري يا بني.  
نظر إلى رمزي بعيون دامعة:  
—أنت ضحية مثلنا، أجبروك على تحويل علمك إلى مقصلة إلكترونية.

تنفس بعمق:  
—لكن اسمعني جيدًا.  
رفع صوته قليلًا:  
—الكاهن المستبد خائف.  
ابتسم:

—دمجوا الأجهزة الخمسة لأنهم يتآكلون من الداخل،  
ويشكون في بعضهم البعض.  
همس:

—يريدون أرشيف الأمن القومي ليحموا عوراتهم من الفضائح  
ومن اختراقات "الخط الأحمر".  
ثم قال الجملة التي كانت كالوصية:  
—لن أسلمهم كرامتي ولو قطعوني إرثًا.  
رفع رأسه:

—الحرية لها ثمن، وتضحيتنا الليلة هي المشرط الذي  
سيقطع خيوط جهاز ظلهم الملعون!  
نظر رمزي إلى فؤاد.  
كانت عيناه تدمعان.

كان يعلم أنه لا يستطيع إنقاذه.  
لكنه كان يعلم أيضًا أنه سيفعل كل ما في وسعه لكشف هذه  
الفضيحة للعالم.  
أكمل فحص القيود، ثم خرج من الزنزانة.  
كانت خطواته ثقيلة، كمن يحمل جبلًا من الذنب.

## المشهد الثاني والعشرون بعد المائتين

### غرفة القيادة المشتركة للمناطق العسكرية — صنعاء

كانت الغرفة واسعة، مليئة بالشاشات العملاقة التي تعرض خريطة اليمن مقسمة إلى ست مناطق عسكرية مستقلة عملياً. كل منطقة كانت ملونة بلون مختلف، وكأنها دول صغيرة داخل دولة واحدة.

على الكراسي الجلدية، كان يجلس يوسف المداني — رئيس هيئة الأركان الجديد، الذي حل محل الغماري بعد مقتله. كان رجلاً غليظ الملامح، يمثل الجناح العقائدي المغلق لصعدة. كان وجهه صخرياً، وعينه تعكسان إيماناً مطلقاً بأنه مختار لحماية "المشروع الإلهي".

إلى جانبه، كان يجلس أبو علي الحاكم — قائد الاستخبارات العسكرية. كان رجلاً شرس الملامح، يضع وشاحاً يغطي إصابته السابقة في إحدى الجبهات. كانت عيناه تلمعان بغضب مكتوم.

كانت الكاميرا — البصيرة — في لقطة متوسطة ثنائية تجمع الرجلين، وهما يعيدان رسم الصلاحيات العسكرية لتفادي انهيار المركز في صنعاء.

أشار يوسف المداني بعصاه العسكرية إلى المناطق الست على الخارطة، وقال بصوته الغليظ:

— بعد مقتل الغماري، أقررنا تفويض قادة المناطق العسكرية بسلطة اتخاذ القرار الكامل دون الرجوع لوزارة الدفاع في صنعاء.

رفع صوته:

— كل منطقة عسكرية، من الرابعة بقيادة المهدي إلى الخامسة بقيادة عقيل الشامي والسادسة بقيادة جميل زرعة، ستعمل كجيش متكامل.  
ابتسم ابتسامة باردة:

— هذا هو الهيكل الجديد لحصر الاختراقات ومنع العدو الإسرائيلي من قطع رأس القيادة مجددًا.  
نظر إليه أبو علي الحاكم بعينين ملتهبتين.  
قال بصوت مبحوح يحمل غيظًا مكتومًا:  
— هذا في الجانب العملي يا مداني.  
توقف لحظة، ثم أضاف:

— لكن ماذا عن الجانب الاستخباراتي؟  
وقف من كرسيه، وبدأ يمشي ببطء:  
— عبد الحكيم الخيواني وجهازه المدمج لم يعودوا يسيطرون على شيء.  
رفع صوته:

— الأجنحة تتصارع على أموال الجبايات والمنظمات، والاعتقالات المتبادلة بين موالين للأجهزة المختلفة تفجر صفوفنا من الداخل.

ثم قال الجملة التي كانت كالتحذير:  
— إذا لم يحسم "جهاز أمن الثورة" السيطرة الرقمية، فإن معلومات تحركاتنا ستظل مكشوفة للفضاء الافتراضي!  
جلس المداني صامتًا للحظة.  
كانت عيناه تبحثان في الخريطة كمن يبحث عن مخرج.  
لم يجده.

قال بصوت خفيض:  
— سنرى. الوقت كفيل بحسم كل شيء.

كانت كلماته تحمل وعيدًا، لكنها كانت تحمل أيضًا خوفًا.  
خوف من المجهول.  
خوف من انهيار كل شيء.

## المشهد الثالث والعشرون بعد المائتين المقر السري لجبهة الوعي الرقمي (الخط الأحمر) — خولان

كانت الغرفة صغيرة، لكنها كانت تحمل عالمًا كاملاً بين جدرانها الحجرية.

أجهزة حاسوب متطورة كانت تملأ الطاولات، وشاشات رصد موازية كانت تعرض تدفق البيانات من داخل غرف دمج الأجهزة الأمنية في صنعاء. وثائق مسربة كانت مبعثرة على الطاولات، وخرائط برمجية توضح تدفق البرمجيات الخبيثة من "يمن نت".

في وسط الغرفة، كانت نادية واقفة أمام شاشة تعرض الكود المصدري لبرنامج التجسس الحوئي المستحدث "GuardZoo". كانت عيناها تشتعلان بالعزيمة والمقاومة، وأصابعها تضغط على لوحة المفاتيح كمن يعزف سيمفونية التحرير.

إلى جانبها، كان وليد جالسًا على كرسي دوار، يراقب تدفق البيانات بعيون لا تفوت شيئًا. وفي الزاوية، كان الرائد طارق وسارة يتابعان الخرائط الأمنية، ويسجلان الملاحظات.

رفعت نادية رأسها فجأة، وقالت بأنفاس سينمائية حادة: تملأها العزيمة والمقاومة: — وليد. طارق.

أشارت إلى الشاشة:

— انظروا إلى هذا التدفق!

بدأت تشرح:

—عبد الحكيم الخيواني وعلي حسين الحوئي قاموا بدمج البنية التحتية لـ "يمن نت" و "تلي يمن" وتحويلها إلى شبكة قنص سيبراني شاملة.  
رفعت صوتها:

—إنهم يستخدمون أداة Dendroid RAT وتطبيقات خبيثة لاستهداف هواتف المواطنين والمنظمات الإنسانية لإسقاط الأسر وابتزاز الفتيات وتوجيههن قسرياً كمصائد.  
ثم قالت الجملة التي كانت خلاصة كل شيء:  
—هذا هو "جهاز الظل" الذي يدار مباشرة من صعدة.  
وقف وليد من كرسيه، وتقدم نحو الشاشة.  
كانت عيناه تشتعلان بالحرية والعمل الدؤوب:  
—هذه الغرف المدمجة والسيطرة الرقمية ليست دليلاً على القوة يا نادية.  
أشار إلى الشاشة:

—بل هي قناع هجين يدارون به رعبهم وتصدعاتهم الداخلية بعد ضربات عام ٢٠٢٥ واغتيال الغماري.  
رفع صوته:

—صرع الأجهزة الأمنية الخمسة يعطينا الثغرة التي نحتاجها.  
ابتسم:

—إنهم يعتقلون موالى بعضهم البعض.  
ثم قال:

—سنمنح كل مواطن مكوم مشرطه الرقمي ليتتبع هذا الاستبداد.  
نظر إلى نادية:

—التنسيق مع حرائر وأحرار صنعاء بدأ، وسنخترق سيرفرات  
جهاز ظلهم هذا لنحرر المعتقلين ونوثق هذه الفضيحة  
الأخلاقية والأمنية للعالم أجمع!  
وقفت سارة من مكانها.  
كانت عيناها تلمعان بدموع لم تنزل بعد.  
همست:  
— عمي عبدالعالم كان يحلم بهذه اللحظة.  
رفعت رأسها:  
— سنحقق حلمه.

المشهد الرابع والعشرون بعد المائتين  
ممر فرعي مؤدٍ إلى غرف السيرفرات الرئيسية بمبنى  
الاتصالات — صنعاء

الفجر

كان الممر ضيقًا، مظلمًا، تعلوه كاميرات مراقبة صامتة لا تعمل  
— أو هكذا كان يظن الحراس.

كان المهندس رمزي يسير بخطوات سريعة، حاملًا حقيبة  
صغيرة في يده. كانت ملامحه متوترة، وعيناه تبحثان في كل  
اتجاه.

كان يهم بالوصول إلى نهاية الممر عندما سمع صوت خطوات  
ثقيلة خلفه.

توقف.

التفت.

كان المشرف أبو رعد الكبسي- يقترب منه بغطرسة سلالية  
فجة، ممسكًا بملفات الإسقاط النسائي الموجهة للفصل  
القادم.

كان وجهه غليظًا، وعيناه تشتعلان بالشك.

اقرب أبو رعد ببطء، ووضع يده على كتف رمزي بعنف جاف.  
قال بصوته الأجش:

— ماذا تفعل هنا في هذا الوقت يا رمزي؟

حدق فيه بعيون مشبوهة:

— علي حسين الحوثي طلب تقرير المسح السيرياني

للمنظمات الدولية فورًا.

رفع صوته:

— هل انتهيت من تجهيز مصائد المعارضين ونشطاء "الخط

الأحمر"؟

ابتلع رمزي ريقه.  
كان قلبه يدق كطبول الحرب.  
أجبر ملامحه على الجمود، رغم الرعب الوجودي الذي كان  
يعتصر قلبه:  
— نعم يا سيدي المشرف.  
أشار إلى حقيبتة:  
— كنت أقوم بدمج التحديثات الأخيرة لمنظومة التجسس  
لضمان عدم حدوث أي ثغرة في سيرفرات "يمن نت".  
رفع عينيه للحظة:  
— التقرير جاهز.  
همس:  
— وشباك السيطرة الرقمية أصبحت محكمة تمامًا حول  
رقاب الجميع.  
نظر إليه أبو رعد للحظة طويلة.  
كانت عيناه تبحثان عن أي علامة للخيانة.  
لم يجدها.  
قال ببرود:  
— أحسنت.  
ثم أدار ظهره، ومشى في الاتجاه المعاكس.  
تنفس رمزي الصعداء.  
كانت يدها ترتجفان.  
فتح حقيبته قليلاً، وتأكد من وجود وحدة التخزين الخارجية  
الصغيرة — USB — التي كانت مخبأة في جيب سري.  
كانت تحمل كل شيء. كانت تحمل مستقبل اليمن.  
أكمل طريقه نحو المخرج. كان الفجر يتسلل من النوافذ.  
كانت بداية النهاية.

المشهد الخامس والعشرون بعد المائتين  
إطالة بانورامية كاملة على مباني أجهزة المخابرات المدمجة  
بصنعاء بالتزامن مع الشروق بتاريخ أيار/مايو ٢٠٢٦  
الصباح — أشعة الشمس الأولى تخترق الغبار الكثيف  
كانت الشمس تشرق كعادتها.  
لكنها لم تكن كأى شروق.  
كانت تشرق على صنعاء مختلفة.  
أشعة الشمس الأولى كانت تخترق الغبار الكثيف، لتعكس  
مدينة ترزح تحت وطأة الرقابة الشاملة والصراعات المكتومة.  
مباني أجهزة المخابرات الخمسة كانت قائمة، لكنها كانت  
كأجساد بلا أرواح.  
في داخل تلك المباني، كانت الصراعات تأكل كل شيء.  
على شاشة خيالية متعددة الكادرات، كانت تتقاطع الصور:  
في كادر: اللواء الخيواني واجمًا في مكتبه، ينظر إلى الشاشات  
بعيون خاوية، كمن يشاهد نهاية عالمه.  
في كادر آخر: علي حسين الحوئي يتفقد شاشات التجسس  
بابتسامة واثقة، كمن يظن أنه يمسك بزمام الأمور.  
في كادر ثالث: جعفر المرهبي يرفع تقريره الخاص إلى صعدة،  
وعينه تلمعان بطموح لا يتوقف.  
وفي كادر رابع، بعيدًا عن أعينهم، كان المهندس رمزي يغادر  
مبنى الاتصالات.  
كانت خطواته سريعة، ويدها ترتجفان، لكن عينيه كانتا تلمعان  
بأمل لم يعرفه من قبل.  
كان يحمل الشفرة المسرية لـ "الخط الأحمر".  
كان يحمل كل شيء.

## صوت الراوي — الدكتور عبدالعالم العنسي

من زنزانته، حيث كانت خيوط الشمس تلامس جدرانها لأول مرة منذ شهور، بدأ عبدالعالم يتحدث.

كان صوته فخماً، عميقاً، يختم الفصل بوعي استراتيجي حاد: — حين يرتعد الكهان خلف جدرانهم العالية، يظنون أن دمج الأجهزة المخبرانية وتحويل الفضاء السيرياني إلى "جهاز ظل" قمعي سيحميهم من زلزال الحقيقة.

تنفس بعمق:

— تحت قبضة عبد الحكيم الخيواني وعلي حسين الحوثي، تحولت صنعاء إلى ساحة مراقبة شاملة تستهدف كرامة المواطن وهواتف العائلات عبر برمجيات القرصنة والتجسس الرقمي.

ابتسم:

— لكن هذا التصدع الداخلي، وصراع الأجنحة الخمسة على النفوذ والجبايات، فجر حصونهم من الداخل.

رفع صوته:

— خطوة بخطوة، مشهداً بمشهد، يمسك أحرار وحرائر اليمن بمشرط الكرامة والوعي، ليشترحوا هذا الاستبداد الكهنوتي، وينتزعوا حریتهم من بين براثن غرف الدمج والسيطرة الرقمية. همس:

— المشوار مستمر.

رفع رأسه:

— والوعي اليماني بات أقرب لتهديم هيكل الطغيان وصنع فجر الخلاص الكبير!

الخاتمة:

تنتهي رواية "أحفاد الجمهورية في مواجهة الكهنوت" لا بنصر نهائي، بل بلحظة فارقة من "بداية النهاية" للاستبداد. بعد أن يخترق "الخط الأحمر" سيرفات "يمن نت"، وتتكشف "الفضائح الاستخباراتية"، وتتصدع "الأجهزة الخمسة" بفعل صراع الأجنحة، يجد الطغاة أنفسهم محاصرين بـ "طوق القبائل"، وبتمرد "الضباط الأحرار"، وبوعي شعبي لم يعد يخاف.

في مشهد ختامي مؤثر، يقف الدكتور عبدالعالم القدسي في زنزانته، بعد شهور من التعذيب، ليرى "شمس الحرية" تشرق من نافذة ضيقة. لم يعد الجلادون يملكون سوى "الرعب"، بينما يملك الأحرار "الحقيقة"

لكن الرواية لا تنتهي عند هذا الحد. تركنا "الخاتمة" أمام سؤال مصيري:

حين تتحد سواعد الأحرار، وتتحرك الكلمة الصادقة كمشرط في جسد الاستبداد، تنهار عروش الكهنوت السلالي ولو تحصنت بألف جهاز موازٍ وقمعي.

إنها رواية عن "اليمن" الذي يقاوم، وعن "الجمهورية" التي لم تمت، وعن "أحفادها" الذين يحملون "الحرية" كتعويذة، ويرفضون أن يتحولوا إلى "جلادين وعبيد".

إنها دعوة مفتوحة لكل من يقرأها :

الحرية لا تُعطى بل تُنتزع انتزاعاً، و"الفجر قادم"، ما دام فينا "عرق ينبض بالكرامة".